المجلد ٧٠

ISSN 2347-2456

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد العاشر–المجلد السبعون
جمادى الأولى ١٤٤٦هـ–نوفمبر ٢٠٢٤م

- تجديد الثقة بالإسلام حاجة الساعة (افتتاحية العدد)
- أعمال المؤمنين والكافرين وعاقبتهم في الآخرة
- أعتقونا لوجه الله
- حب النبي صلى الله عليه وسلم
- رعاية الله للمرأة على تداول الأزمان
- حفظ الفروج – وقاية صحية
- قضايا مستجدة حول نفقة المطلقة
- النظر المقاصدي في السيرة النبوية الشريفة
- مجلة " الضياء " رائدة الصحافة العربية في الهند
- إعلان الاستقلال وانعكاساته على سلامة العالم

تصدرها : مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ. الهند
If undelivered please return to:
Al Baas El Islami, Majlis Sahafat wa Nashriyat , Nadwatul Ulama Campus, Tagore Marg,
Post box no.93 Lucknow-226007 Uttar Pradesh, India.
Email: info@albasulislami.com Website: www.albasulislami.com

بسم الله الرحمن الرحيم

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة
ص ب ٩٣، ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)
الفاكس: ٢٧٨٧٧١٠- ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI
NADWATUL ULAMA, P.O. BOX. 93
LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)
FAX:0091-522,2741221-2741231
E-Mail: albaas1955@gmail.com

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم! حفظهالله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة، نشكركم على ما تتابعونه من قراءة:"البعث الإسلامي" وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة، تصدر من ٦٩/عاماً بالاستمرار، وهي تجتاز الآن عامها السبعين - والحمد لله - ونرجو الله سبحانه أن يوفر لإتمامه جميع الوسائل اللازمة ويجعل التوفيق حليف العمل والعاملين.

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً، وبتكلفة باهظة، ولاسيما بعد تضاعف أجرة البريد فهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي وشيء من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول.

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك باسم:

AL-BAAS, A/C No. 10863759846
IFSC CODE: SBIN0000125, SWIFT CODE: SBININBB157
STATE BANK OF INDIA, LUCKNOW MAIN BRANCH (INDIA)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أخوكم المخلص
سعيد الأعظمي الندوي
رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي

بالعنوان التالي:

مكتب "البعث الإسلامي"مؤسسةالصحافة والنشر
ندوة العلماء، ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

المجلد ٧٠

مؤسسة الصحافة والنشر

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

November 2024 — نوفمبر ٢٠٢٤م

العدد العاشر – المجلد السبعون – جمادى الأولى ١٤٤٦هـ – نوفمبر ٢٠٢٤م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع،وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام:١٣٧٥هـ -١٩٥٥م

المشرف العام

الأستاذ السيد

بلال عبد الحي الحسني الندوي

رئيس التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

مدير التحرير

محمد فرمان الندوي

مساعد التحرير المسئول عن المكتب

محمد عبد الله المخدومي الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Tagore Marg, Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Mob: 9889336348, 8400476826

Email: albaas1955@gmail.com , info@albasulislami.com

❖ **الافتتاحية :**

تجديد الثقة بالإسلام حاجة الساعة — سعيد الأعظمي الندوي — ٥

❖ **التوجيه الإسلامي :**

أعمال المؤمنين والكافرين وعاقبتهم في الآخرة — الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي — ٩

أعتقونا لوجه الله — الدكتور أشرف شعبان أبو أحمد — ١٣

❖ **الدعوة الإسلامية :**

حب النبي صلى الله عليه وسلم — الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي — ٢١

رعاية الله للمرأة على تداول الأزمان — الدكتور غريب جمعة — ٢٦

حفظ الفروج – وقاية صحية — الدكتور عبد الصمد الندوي — ٣٣

❖ **الفقه الإسلامي :**

قضايا مستجدة حول نفقة المطلقة — د . المفتي محمد مصطفى عبد القدوس الندوي — ٣٩

❖ **دراسات وأبحاث :**

النظر المقاصدي في السيرة النبوية الشريفة — أ . د . رشيد كُهُوس — ٤٥

الخروج عن الأصل المعتاد لدى علماء العربية وأثره في اللغة العربية — الأستاذ محمد أبو طه المكي — ٥٤

مجلة " الضياء " رائدة الصحافة العربية في الهند — الأخ آفاق القريشي — ٦١

❖ **رجال من التاريخ :**

الشيخ طنطاوي جوهري في ضوء إنتاجاته العلمية — الأخ ناصر . ك — ٦٧

مريم جميلة : نموذج رائد للمرأة المسلمة في مواجهة الاتجاهات المعاصرة — الباحثة حراء سفيان — ٧٢

❖ **أدب الرحلات :**

رحلة إلى الأردن : بين المقدسات والمعالم — الأخ السيد عبد العلي الحسني الندوي — ٧٨

❖ **صور وأوضاع :**

إعلان الاستقلال وانعكاساته على سلامة العالم — محمد فرمان الندوي — ٨٤

❖ **قراءة في كتاب :**

موسوعة الجامع الكامل في الحديث الصحيح الشامل — الدكتور الحافظ كليم الله العمري المدني — ٨٨

❖ **أخبار علمية وثقافية :**

الأستاذ ملك محمد أحمد الندوي ينال شهادة الدكتوراه — مدير التحرير — ٩١

حفل توقيع كتاب : " شخصيات أعجبتني " — الأخ محمد سعدان الدين الندوي — ٩٢

مساهمة المرأة الهندية في الدراسات العربية — د . غياث الإسلام الصديقي الندوي — ٩٣

❖ **إصدارات حديثة :**

١. إسهامات السيد محمد الرابع الحسني الندوي في مجال الدراسات العربية بالهند — مدير التحرير — ٩٦

٢. مقدمة في الأدب العربي للأستاذ السيد محمد نجم الثاقب الناصري الندوي — " " " — ٩٦

٣. الشيخ أبو سلمة شفيع أحمد للأستاذ المفتي رشيد أحمد الفريدي — " " " — ٩٧

٤. مقالات الشيخ أبي سلمة للأستاذ الدكتور محمد كفيل أحمد الندوي — " " " — ٩٧

٥. نصوص من رحلة الشيخ عبد الرشيد إبراهيم للأستاذ سالم محمد القحطاني — " " " — ٩٨

❖ **إلى رحمة الله تعالى :**

١. الشيخ الدكتور السيد تقي الدين الفردوسي الندوي إلى رحمة الله تعالى — قلم التحرير — ١٠٠

٢. زوجة الشيخ المحدث محمد زكريا السنبهلي الندوي إلى رحمة الله تعالى — " " " — ١٠١

٣. الأستاذ الدكتور مسرور فيضي الندوي في ذمة الله تعالى — " " " — ١٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

تجديد الثقة بالإسلام حاجة الساعة

ما يجري في العالم الحديث من ظروف قاسية ضد الدول والمجتمعات التي تُبدي انتماءها إلى الإسلام ، لم يعد لُغزا تحتار العقول في تحليله أو إدراك معانيه ، تتألب القوى المعادية كلها بإعدادات ضخمة من كل نوع ضد الشعوب الإسلامية والدعوة الإسلامية ، وتشن عليها الغارة بغاية من القسوة والوحشية ، فالمسلمون يعانون من المحن والآلام ما يسد عليهم الطريق ، ويضيق عليهم الحصار ، ويبعث فيهم اليأس من مستقبل الإسلام .

لكن الإسلام لا علاقة له باليأس والتشاؤم ، فإنه يولّد في المنتمين إليه قوة التفاؤل بالمستقبل المشرق بتعاليمه وتوجيهاته الرفيعة ، ويملأ قلوبهم بالثقة الكاملة بالله عز وجل ، وعدم الخوف والذعر من أي قوة معادية متألبة على فئات شتى من المسلمين ، وينير الطريق نحو الفتح والانتصار ، ويضيئ ظلمات الليل الحالكة ، ودياجير الكفر والطغيان الخادعة ، وينتشل الغارقين في طوفان الإلحاد والزندقة إلى بر الأمان وساحل النجاة ، ويأتي بالعجايب والغرايب في هذا الأمر ما يدهش العقول والألباب ، هذا هو الإسلام الذي يسمى دين الفطرة ، ودين الطبيعة الإنسانية ، فليست هناك للطبيعة مشكلة أو محنة ، ولا أمام الفطرة أشباح مخيفة ، أو معوقات وعراقيل ، إلا ونجمت معجزة الإسلام بخوارقها وإبداعاتها ، وقامت بفك عويصاتها ومشكلاتها ، وأنقذتها من هذه الأعباء الشاقة أو الأحمال الثقيلة ، قال الله تعالى : (وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ) [الشورى : ٢٨] .

إن الحضارات المادية ، والمذاهب الوضعية ، التي عاشت على وجه الأرض أتت بالأيدلوجيات المتنوعة والنظرات المختلفة لإراحة الإنسانية ، وتوفير الأمن والسلامة لكل طبقة من طبقاتها ، وقدمت كثيراً من الحلول الطارئة للمشاكل والصعوبات التي تواجهها البشرية في مختلف العصور والدهور ، وقد عرف التاريخ الإنساني الحضارة الساسانية والحضارة البيزنطية ، فهاتان الحضارتان كانتا أرقى وأعرق الحضارات الإنسانية في القرون الماضية ، وكان العامة والخاصة يفتخرون بالانتماء

إليها ، ويعتزون بالنسبة لها ، ويتمنون باللحاق بها ، لكن طبيعة هاتين الحضارتين كانت طبيعة : الناس أتباع من غلب ، فالطبقة الأرسقراطية كانت على قمة من البذخ والترف ، ومرافق الحياة ، لكن الطبقات الضعيفة تشكو فقراً مدقعاً ، وخواءً مرهقاً ، وتلجأ إلى أن تنال لقمة لإشباع نهامتها الفطرية ، وكان تعامل أعضاء هاتين الحضارتين مع العبيد والإماء تعاملاً قاسياً ، وسلوكاً جائراً ، فكانوا يتدربون على الرماية بتوجيه السهام إلى العبيد ، فإذا أصابت السهام أجسامهم صفقوا فرحين مسرورين ، وكان العبيد يتململون تململ السليم ، ويشعرون بشدة آلام هذه الجراحات اللاذعة ، هذا في جانب ، وفي جانب آخر كان العبيد والإماء تحرق بهم النار ويشتعل أوارها ، فيتحول العبيد والإماء إلى رماد ، وهم يتناولون الأطعمة اللذيذة في أضوائها بدلاً من المصابيح والأضواء الفطرية ، وكذلك العلماء لهاتين الحضارتين لم يأتوا إلى الإنسانية بأي شيئ ، يزيل عنها كآبتها وهلعها ، فهناك أفلاطون وسقراط وأرسطو الذين يعدون من علماء الفكر العالمي وعقلانييهم وزعوا الإنسانية بين طبقات ومجموعات ، واعتبروا طبقة العمال والزراع من أرذل الطبقات ، فإنهم خلقوا لخدمة الحكام وطبقة الجيش ، وليس لهم حقوق وخيارات مطلقة ، وأما حضارة الهند التي يدعي أدعياؤها باستمراريتها منذ الألف الثالث قبل الميلاد فقد ظهر فيها نظام الطبقات في أبشع صورة ، فكان فيه رجال الدين ، ورجال الحرب ورجال الزراعة والتجارة ، ورجال الخدمة ، فكانت الطبقة الأولى عندهم صفوة الله تعالى ، وكانت الطبقة الأخيرة أحط من البهائم ، وأذل من الكلاب ، وكان الفساد والخلل في كل شعبة من شعب الحياة ، وكانت الإنسانية تئن وتتألم من تبعات وأوضار هذه الحضارات المصطنعة المجحفة ، ولا تجد من الهدوء والطمأنينة ، وأضف إلى ذلك النظرات الزائفة ، والأفكار المعسولة التي تنادي بالأمن والاستقرار والسلامة ، وتهتف بأنها كفيلة لنجاح الإنسانية مائة في المائة ، لكن سرعان ما ينقلب الأمر ظهراً لبطن ، وينكشف زيفها أمام العالم ، ويتجلى بكل وضوح أنها كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً .

في هذه المجتمعات اليائسة ظهرت شمس الإسلام ، وأنارت الأرض بل الكون كله ، بأشعتها المشرقة ، وأتحفت الإنسانية بالحياة المطمئنة ، التي حلم بها أدعياء الحضارات والنظرات من أصولها وقواعدها ، فدخل

الناس في دين الله فرادى وجماعات ، واعتنقوا الإسلام ، وطبقوا شريعته في كل جزء من أجزاء الحياة ، وخلعوا من أعناقهم ربقة الجاهلية والاستعباد ، وأعطوا كل ذي حق حقه ، ولم يحرموا عضواً من أعضاء المجتمع الإنساني من حقه ، من جراء ذلك زال الخوف والفزع ، وانتهى الاضطراب والقلق ، ونالت الإنسانية ضالتها المفقودة ، وثروتها الضائعة التي اختفت تحت أكوام من الرماد ، وأطنان من التراب ، وعاش الناس سعداء مطمئنين ، وكل ذلك كان مديناً للإسلام وتعاليمه التي أنزلها الله تعالى من سبع سماوات ، ولم يكن سواه دين يوفر للإنسانية الطمأنينة مثل ما وفر الدين الإسلامي لها ، فكانت ظلالها الوارفة يستريح الناس تحتها ، وينجزون أعمالها بكل هدوء وسكينة ، لأن أصل هذا الدين كان ثابتاً تحت الأرض ، وكان فرعه في السماء ، يؤتى أكله كل حين بإذن ربه .

هناك دراسة متأنية للإسلام في ضوء مبادئه وأصوله وخصائصه ، حتى يتبناها المرء في هذا العصر المليئ بالفتن والمحن ، ويتخذها كملجأ من الله تعالى خالق السماوات والأرض ، وكمنقذ للإنسانية من أوحال الكفر والشرك ، فالمبدأ الأول للإسلام هو عالميته ، فلا يتقيد بحدود الدول والأمصار ، ولا يتحدد بحدود البلدان والديار ، إنه يخاطب النوع الإنساني بكامله رغم تنوع الأعراق والمنابت والمواطن ، ويجعل المجتمع الإنساني عقداً لا تنفصم عراه ، ولا تتبعثر أسلاكه ، فجميع الانتماءات والروابط العرقية والتاريخية والجغرافية ذائبة في بوتقة عالمية الإسلام ، ومنصهرة في سبائكه ، فلا اعتبار فيه للأصباغ النصرانية واليهودية ، ولا قيمة فيه للألوان المجوسية والزرداشتية ، إنه يرفض التفوق العنصري والاستعلاء الجنسي رفضاً باتاً ، ويربط الإنسانية برباط وثيق من الوحدة الإلهية ، والوحدة الإنسانية ، قال الله تعالى : (وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ) [البقرة : ١٦٣] ، والمبدأ الثاني : الوسطية والاتزان ، هذا المبدأ جمع الدين بين الروح والمادة ، وبين الدنيا والآخرة ، وأقام جسراً بين الحقوق والواجبات ، وبين المثالية والواقعية ، فلا إفراط فيه ، ولا تفريط ، ولا غلو فيه ولا تقصير ، ولا طغيان فيه ولا كفران ، وقد زاغت اليهودية عن الصراط المستقيم ، بنبذ هذه الميزة وراءها ظهرياً ، فكانت عند الله ملعونة ومغضوباً عليها ، وانحرفت النصرانية بالغلو في الألوهية والربوبية ، فكانت فرقة ضالة عن جادة الحق والصواب ، ثم جاء الإسلام ، فجمع بين الإفراط والتفريط بوسطية واتزان ، وجعل أمة

الإسلام أمةً وسطاً لتكون شهداء على الناس .

المتغيرات الحضارية والسياسية التي يعيشها العالم المعاصر تؤثر على أنماط الفكر وأساليب الحياة ، وتتناول الكليات والقواعد الأساسية بالتغيير والتحوير ، وقد أصبحت وجهات الأنظار نحو الأشياء متجددة ، وتبدلت المقاييس ، واحتل الفكر الارتجالي محل الفكر الأصيل الناضج ، وباتت العقلية الإجرامية فناً ، يتمثل في مجالات كثيرة من الممارسات الحضارية والعلمية ، والسياسية والاقتصادية ، ويتحكم في الشئون الحيوية كلها من غير تقيد أو مراعاة الظروف ، الأمر الذي أثر في ضعف الثقة بالإسلام ، وتعاليمه الناصعة ، وبدأ الناس يعيشون حياة بعيدة عن الدين ورسالته ، ولا سيما الطبقة المثقفة التي نالت الشهادات العريضة ، والوسامات الفاخرة ضعفت علاقتها بالدين الإسلامي ، فليس معنى الدين عندها إلا أداء شعائر خاصة للدين فقط ، وأما أن يكون الإسلام في كل جزء من أجزاء الحياة ، وأن يكون ماثلاً أمام الأعين ، ومتمثلاً في التقاليد والطقوس الاجتماعية ، حتى في الشارات والألبسة ، فذلك أمر أصبح كعنقاء المغرب لدى الطبقة المثقفة إلا ما شاء الله ، فتسربت إلى هذه الطبقة الردة الفكرية ، – وفي أصح تعبير – الردة الإيمانية ، وشاع الإلحاد والزندقة والمروق من الدين في هذه الطبقة كثيراً ، لأنها تعيش كما يعيش الناس الذين لا هم لهم إلا البطن والمعدة ، فيدورون في وظائفهم كرحى الطاحون ، ويقضون حياة رتيبة لا جدة فيها ، ولا طرافة ، ولا حياة فيها ولا حرارة كأنهم خشب مسندة .

فالحاجة ماسة إلى نحو إعادة الثقة الكاملة بالإسلام ورسالته إلى نفوس هذه الطبقة بوجه أخص ، والاقتناع الكامل بأن الإسلام هو المنهج الطبيعي الأصيل للإنسان في كل زمان ومكان ، ومع كل جيل وبيئة ، مهما تغير العالم ، وتطورت الأوضاع ، وتبدلت المقاييس ، ولكنه لا يفقد أصالته وطاقته بأي حال ، فلابد من تجديد الثقة به ، والارتباط برسالته ، وتطبيق منهجه على الحياة والمجتمع . (وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ) .

والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي الندوي
١٤٤٦/٣/٢١هـ
٢٠٢٤/٩/٢٥م

التوجيه الإسلامي

أعمال المؤمنين والكافرين وعاقبتهم في الآخرة

الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله تعالى
تعريب : محمد فرمان الندوي

اغترار بحسن العمل وعاقبته :

(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً . ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً . أُوْلَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَزْناً . ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ آيَاتِى وَرُسُلِى هُزُواً) [الكهف : ١٠٣ – ١٠٤] .

أخبر اللّٰه تعالى في هذه الآيات بأبسط أسلوب عن الذين هم الأخسرون أعمالاً ، وقد ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، ولم يدركوا هذه الحقيقة : ما يحدث في الدنيا ، وماذا سيكون في الآخرة ، وكانوا منهمكين في أعمالهم ، وقد اعتبروا الدنيا ووسائلها غايتهم ، ولم يفرقوا بين الحلال والحرام ، وتبنوا كل منهج من الحياة كان أمامهم ، ولم ينظروا إلى ما يحبه اللّٰه ويرضاه ، بل اختاروا كل حلال وحرام لمصالحهم الذاتية ، الواقع أن جهود هؤلاء الناس ذهبت سُدىً ، وتبعثرت ، لكن مما يُستغرب أنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، ويعملون أعمالاً حسنة ، وهم على أحسن نظام ، فنظراً إلى هذا يذهبون في ذلك كل مذهب ، ويكثرون من أموالهم لزيادة شرفهم وعظمتهم ، أو يختارون كل ما يشاؤون من طرق العيش ، ويعتزون بها .

الجاحدون لآيات اللّٰه تعالى :

تدل الآية التالية على أن هؤلاء هم الذين كفروا بآيات اللّٰه تعالى ، رغم أن آياته قد انتشرت في الأرض كلها ، ويمكنهم أن يشاهدوها من طرائق قدد ، وهي تخبر بأن منسِّق هذا النظام قوة أخرى ، وهي تنسق كل شيئ بحكمة بالغة ، وبصيرة تامة ، لا يوجد فيه خلل ، لا اضطراب فيه ولا صراع ، كأنه نظام محكم متقن دقيق ، فإن طلوع شمس وغروبها ، وطلوع قمر وأفوله لا يحدث فيه خلل لثانية ولا دقيقة ، كذلك نظام الصيف والشتاء وما وفر اللّٰه تعالى فيهما من تسهيلات وإمكانيات ، وكيف تنبت الأشجار ، وكيف تحصل موارد الرزق ، وما هو مقدار الأمطار ، كل هذا يعمل فيه نظام اللّٰه تعالى بحكمته البالغة ، وجميع

هذه الآيات أمام الناس ، لكن الجاحدين لها قد أطبقوا عيونهم عنها ، فلا يزالون يجحدون آيات الله تعالى الباهرة .

فالذين يجحدون آيات الله هم يجحدون يوم القيامة ، فلا يؤمنون بالسؤال والجواب عند الله تعالى ، ولا يوقنون بالقيام أمام ربهم ، وتخبر الآية المذكورة أعلاه أن أمثال هؤلاء الناس في خسارة كبيرة ، فإنهم يجدون جزاء أعمالهم ، وتحبط جميع عباداتهم وهم لا يشعرون بها ، فإنهم حينما تخرج أرواحهم ويموتون فلا يملكون مقدار ذرة أيضاً ، وإن حيزت لهم الدنيا بحذافيرها ، فلا يقدرون على عيونهم ولا أجسامهم ، ولا أي جزء من أجزائها ، وتضيع جميع نشاطاتهم وأعمالهم وتنتهي أمورهم .

والذين يملكون قوة وسطوة في الدنيا ، ولكنهم كانوا جاحدين لنعم الله تعالى ، فلا يحملون يوم القيامة وزناً ، يقول الله تعالى : (فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَزْنـاً) ، ذلك أنهم لا يملكون شيئاً ، بل يكونون صفر اليدين ، لا قيمة لهم ، ولا شأن لهم ، وقد ذهبت أعمالهم وضاعت ، وليس لديهم ما يستندون إليه ، أو يقدمونه للخلاص من العذاب ، هناك يعرفون خسارتهم وضررهم ، لأن الآخرة لا تنفع فيها إلا الأعمال الصالحة ، فإذا لم تكن الأعمال الصالحة فلا ملجأ للإنسان ، وقد ذكر الله تعالى في مواضع كثيرة من القرآن الكريم أن الله عز وجل يعامل الإنسان يوم القيامة حسب أعماله وأحواله ، فإذا كانت أعماله صالحة كانت عاقبته حسنة ، وإذا كان الأمر بالعكس خسر خسراناً مبيناً .

عاقبة منكري الآيات والآخرة :

ذكر الله تعالى في هذه الآيات كذلك عاقبة منكري الآيات الإلهية والآخرة أنهم يصلون سعيراً ، لأن أعمالهم قد حبطت ، فلا تكون إلا صفراً ، وكان مأواهم جهنم ، فلا يطرحهم الله تعالى في جهنم قسراً ، بل كان سببه أنهم جحدوا أوامر الله تعالى ، كما قال تعالى : (ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوۤاْ آيَاتِى وَرُسُلِى هُزُواً) [الكهف : ١٠٦] ، أي إنهم كانوا يستهزؤن بآيات الله ورسله ، ويسخرون منهم في الدنيا ، ولا يهتمون بالأمور التي تنفعهم في الآخرة ، ويحمِّقون الأنبياء ، ويعتبرون كلماتهم جنوناً وسفاهة ، وإذا نظرنا إلى مجتمعاتنا اليوم عرفنا أن الاستهزاء بأهل الدين قد عم وانتشر على كل مستوى ، فالناس يقولون لهم : ما أحمق هؤلاء ، فإنهم لا يفكرون في كسب أموالهم ، ولا يدخرونها ، ويشتغلون كل وقت بالصلاة والصيام ، يا للأسف أن المسلمين اليوم قد تغيرت عقليتهم ، فإنهم يسخرون من الدين ، هؤلاء هم

الذين كفروا بآيات الله تعالى ، واستهزؤا بها وبرسل الله تعالى ، وتشتمل كلمة " رسل الله " على الدعاة الذين يدعون الناس إلى الله ، ويبلغون دين الله إلى أرجاء العالم ، فكان الجاحدون لنعم الله تعالى يستهزؤن بأهل الدين ، ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، ويجدون كل نوع من النجاح والفلاح ، فكان جزاء هؤلاء الناس جهنم ، ولا يملكون في الآخرة شيئاً ينقذهم من عذاب جهنم .

أعمال المؤمنين وعاقبتهم :

(إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً . خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً) [الكهف : ١٠٧ – ١٠٨] .

إن الذين يكونون مقابل المنكرين ليوم القيامة وآياته هم أهل الإيمان ، وقد اختاروا الأعمال الصالحة في الحياة الدنيا ، ولم يبالوا بنعم الدنيا مقابل نعم الآخرة ، بل عملوا أعمالاً تضمن لهم النجاح في الآخرة ، وآمنوا إيماناً أحرز لهم القبول والحظوة عند الله تعالى ، يقول الله عزوجل عنهم : كانت لهم جنات الفردوس نزلاً ، خالدين فيها ، لا يبغون عنها حولاً ، فلا يخرجون منها ، ولا يريدون الذهاب إلى مكان آخر ، أي لا يضطرون إلى أن يمكثوا هناك ، سواءً أرادو أم لم يريدوا ، فتكون هذه الإقامة سجناً لهم ، لا نعمة ، فهذا المكان هو الذي لا يبغون عنه ذهاباً إلى مكان آخر لجودته وحسنه وجمال موضعه .

تمثيل بليغ للكلمات الإلهية :

(قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً) [الكهف : ١٠٩] .

ضَرَبَ الله تعالى في هذه الآية مثالاً لقدرته ، فإن قدرته وحكمته ونظامه الذي صنعه واسع ، ومترامي الأطراف والنواحي ، بحيث لو أصبحت البحار مداداً ، وكتبت بها كلمات الله لنفد المداد الذي صنع من البحار كلها ، ولا تنفد كلمات الله تعالى ، هنا وقفة تأمل أن مقداراً قليلاً من المداد ينفد في كتابة شيئ ، بالرغم من ذلك لو أصبحت البحار كلها مداداً لا تنفد كلمات الله ، بل تكتب بكل تسلسل ، وليس الأمر فحسب أن مداد البحار ينفد ، ويزول ، بل أن مزيداً من البحار إذا ضم إلى هذه البحار ، وألحق بها ما نفدت كلمات الله تعالى .

موضع للتأمل :

إذا فكر إنسان في هذا الأمر تفكيراً عابراً ، استغرب من مقدار كلمات الله التي ينفد من كتابتها مداد البحار ، لكن كلمات الله لا

تنفد ، وإذا تأملها الإنسان أدرك أنه إذا سجل تفاصيل كل ذرة من ذرات الكون ، واستعرض مزاياها وخصائصها ، لم يكن نفاد مداد البحار مستحيلاً له ، لأن هذا الكون واسع الجوانب ، لا يدري كم توجد فيها من العوالم والكرات ، وكم توجد فيها من المخلوقات والمعادن ، والنبات ، والحيوانات ، فلو كتبت تفاصيل هذه الأشياء التي خلقها الله تعالى ، وتأمل الإنسان أسباب خلقها ، وصناعتها ، ما هي طبعيتها ؟ وما هي مزاياها ؟ وما هي متطلباتها ؟ وما هي حاجياتها ؟ وما هي مواهبها ؟ فهذه الأمور كلها هي كلمات الله تعالى ، التي إذا كتبها الإنسان لنفد مداد البحار ، ولا تنفد كلمات الله تعالى .

مكانة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَا) [الكهف : ١١٠] .

هذه الآية تدل على مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فالرسول تابع لله عزوجل ، وخاضع لأمره ، فليس معنى ذلك أن كل ما يخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من أمور ، وما يذكر من كبريائه ، أو يقص من قصص الأمم الماضية ، يفعل كل ذلك لمجرد قرابة أو علاقة حميمة ، بل الواقع أن الله عزوجل اصطفاه من بين سائر خلقه ، فهو رسول الله ، غير أنه بشر ، ويعيش مثل البشر ، وليس ملكاً أو مخلوقاً آخر ، فالفارق الأساسي بينه وبين عامة البشر أن الله تعالى يوحي إليه ، وينزل عليه وحي إلهي ، وإلا لا يكون بينه وبين الناس فرق ، فإنه نال مكانة خاصة بين الناس على أساس رسالته الإلهية ، وهذه الرسالة هي أن الله يخبر الناس بواسطة رسوله أن إلههم هو الله وحده ، وهو يستحق كل نوع من الألوهية والربوبية ، وتوحيد الأسماء والصفات ، هذه هي الرسالة التي يبلغها الله تعالى بواسطة رسوله إلى الناس ، وقد أخبر بأنهم إذا وضعوا نصب أعينهم هذه الرسالة أفلحوا ونجحوا في الدنيا والآخرة ، وإلا كانت لهم خسارة فادحة في الآخرة .

بيان صريح :

دل آخر الآية على أن كل من يرجو لقاء الله ، ويتمنى أن يرجع إلى الله عزوجل راضياً مرضياً ، وينال رحمة الله تعالى فعليه أن يعمل أعمالاً صالحة في الحياة الدنيا ، ولا يعبد أحداً سوى الله ، ولا يعتبره جديراً بالعبادة ، ولا يخضع أمام أحد ، بل عليه أن يخضع أمام الله تعالى ويعتبره ولياً وناصراً .

أعتقونا لوجه اللّه

الدكتور أشرف شعبان أبو أحمد *

تعريف الاستعباد وطرقه :

بدايةً فإن تجارة الرقيق أو العبد كانت متأصلةً في الشعوب القديمة ، وقد سبقت السجلات التاريخية المكتوبة ، فقد كانت موجودة في العديد من الثقافات ، كانت سائدةً في روما أيام الإمبراطورية الرومانية ، وقامت على أكتافهم بنايات الحضارات الكبرى ، وقد مارسها الأوربيون ، كانوا يُرسلون الأفارقة قسراً ليفلحوا الأراضي الأمريكية ، كما مارس البرتغاليون النخاسة ، ومارستها أسبانيا ، كما دخلت إنجلترا حلبة تجارة العبيد ، وتلتها البرتغال وفرنسا والدنمارك ، كما مارسها العرب من قبل ظهور الإسلام ، وكانت الدنمارك أول دولة تلغي تجارة العبيد ، وتبعتها بريطانيا وأمريكا ، ثم عقدت دول أوربا معاهدة منع تجارة العبيد ، وتوالت بعد ذلك الدول في تحرير العبيد ، وقد عقدت عصبة الأمم مؤتمراً قررت فيه منع تجارة العبيد وإلغاء العبودية بشتى أشكالها ، وأصبحت العبودية فيما بعد محظورة تماماً ، ومع مرور أكثر من قرن على هذا المؤتمر ، يزداد كل يوم وضوحاً أن ما زال الكثير والكثير جداً من القاطنين في أرجاء المعمورة بأركانها الأربعة في حالة استعباد تام أو أقرب إليه من أن يكونوا أحراراً كما يظنون ، ولكن بطرق ووسائل غير التي كانت شائعةً سابقاً ، حين كان الاستعباد محصوراً في إغارة بعض القبائل على بعض ، وأسر الرجال والأطفال ، وسبي النساء ، والاستيلاء على ما يمكن حمله من متاع وخلافه ، أو القيام بقطع الطرق وخطف بعض المارة والسطو عليهم قبائل كانوا أو أفراداً ، واستخدام العنف والتهديد والإكراه والابتزاز ، أو إهداء بعض الرقيق وخاصة النساء من قبل ذويهم إلى آخرين . ثم صار إلى قيام بعض

* جمهورية مصر العربية .

الدول باختطاف أبناء دول أخرى واستجلابهم كعبيد ، أو احتلال دولة لأخرى ، تستعبد شعبها وتستخدمه في أعمال السخرة ، بما يخدم مصالحها في هذه البلاد ونقل ما يمكنها نقله إلى البلد الأم . ومع موجات التحرر من الاستعمار ، أخذ الرق شكلاً آخر ، وهو سيطرة بعض أبناء هذه البلاد على الحكم فيها بالقوة العسكرية ، وما ترتب على ذلك من استيلائهم على خيرات هذه البلاد واستعباد شعوبها ، بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ ، استعباداً لا يبعد قيد أنملة عن أبشع صور الاستعباد في عصوره السحيقة . ومن طرق العبودية القديمة والتي ما زالت قائمةً في عصرنا هذا ، هؤلاء الذين يولدون ويتعاملون تلقائياً كممتلكات شخصية لسيدهم ، حيث يمتلك رقابهم منذ ولادتهم ، ويتحكم في مصائرهم ، وفي أمزجتهم وأهوائهم وغرائزهم وشهواتهم وأفكارهم وتعليمهم وزواجهم وإنجابهم ، كما هو الحال في معظم الدول التي يتوارث الحكم فيها الأبناء عن الآباء وعن الأجداد . ومن الناس من درج على تقديس من بيده السلطة ، وإكبار ذي الجاه والشهرة ، وعلى إجلال صاحب المال والثروة ، وإعطاء من يتحلى بهذه الصفات أكبر مما ينبغي من التوقير والإعزاز ، بل والمبالغة في تقديسه وتعظيمه . ومن الملاحظ أن جميع بلدان العالم التي تفتقر إلى التعليم والعدالة والمساواة والحرية في مختلف مجالاتها ، وذات بنية اجتماعية ضعيفة ، ويزداد الفقر فيها ، تعتبر بيئةً صالحةً ومثاليةً لفرض العبودية من قبل الحكام وقبولها من قبل الشعوب .

الغرض من الاستعباد :

وبمعرفة الغرض من الاسترقاق ، ستتضح الرؤية للكثير هل ما زالوا مستعبدين أم نالوا حريتهم كما يقال ويشاع !!! . فالغرض من استعباد الرجال كان ولا زال هو تسخيرهم ، بما لا يطيقون من عمل ، وفيما ما لا يؤجرون عليه ، أو يؤجرون بأقل القليل ، وفي شتى أنواع الأعمال والخدمات ، وخاصةً الرديئ والدنيئ منها ، وفي ظروف قاسية يتعرضون فيها لمخاطر شتى ، ولذا فمنهم من يعمل على مدار الساعة ، لتوفير احتياجاته أو للوفاء بدين عليه ، وإن عجز على سداده يُساء إليه ولأسرته ، وقد يؤخذ أحد أفرادها رهينةً أو يضطر لبيعه لسداد ما عليه ،

تفادياً للحبس وتشرد أسرته من بعده ، كما تشمل أعمال السخرة للرجال التجنيد الإجباري ، حيث يخضع المجندون للسيطرة الكاملة ، وتفرض قيود على تحركاتهم وأنشطتهم ، وغالباً ما يقوم المجندون بالعمل في مشاريع غير مرتبطة بالدفاع عن البلاد ، أو في خدمة القادة في منازلهم ومشاريعهم الخاصة ، ويتشابه معهم السجناء حيث يتعرضون للعمل القسري في الأعمال الإنشائية والبنائية الشاقة غير المأجورة ، ويأتي من بعدهم من تقوم الحكومات بتوظيفهم للعمل في داوينها ومصالحها بأجر زهيد ، لا يسمن ولا يغني من جوع . وبناءً على ذلك ، فكل من لم يجد عملاً مناسباً لقدراته ومؤهلاته ، وبدخل مادي يوفر له حاجاته الضرورية ، وفي ساعات محددة ، بحيث يقضي وقتاً كافياً من يومه في رعاية أسرته وممارسة هوايته ، وتنمية مواهبه أو الترويح عن نفسه ، فهو ما زال في حالة استعباد . أما النساء فكن يستعبدن لغرض المتعة بمختلف أشكالها ، وتلبية المطالب الجنسية ، واستغلالهن في الدعارة ، فكل امرأة تقيم علاقةً مع أي رجل بدون رباط شرعي ، وتتنقل بين أحضان الرجال تحت أي مسمى وتحت أي مزاعم ، وكل فتاة تتعرى وتعرض جسدها للمشاهدين ، وكل مراهقة تحمل سفاحاً ، وإما أن تجهض أو تعرض طفلها لمن يريد تربيته ، وكل ابنة تكره على الزواج بما هو ليس كفوءً لها ، ولا يناسبها شكلاً ولا موضوعاً ، أو ما زالت في ريعان الطفولة لا تستطيعه وتحمل تبعاته ، أو كل سيدة تجبر على استخدامها كوعاء لتحقيق رغبة زوجين لم ينجبا في الحصول على طفل ، أي في الحمل بالإنابة أو نقل البويضات ، وسواء بأجر أم بدون ، فهي ما زالت في حالة استعباد . أما الأطفال فكان استعبادهم لاستغلالهم جنسياً أو بيعهم لبعض الأسر التي لم ترزق بالأطفال ، أو استخدامهم في الأعمال المنزلية ، أو التسول أو تجنيدهم في الحروب ، بل استجد عليهم استغلالهم عن طريق نزع الأعضاء والأنسجة ، وفي بعض الدول خاصةً الغربية تعتبر نفسها هي مالكة الأطفال ، أما الوالدان فهما مجرد مربين حالهم حال مربي الأبقار ، عليهم الالتزام بما حددته لهم الدولة وجيشها من المختصين التربويين ، وإلا انتزعتهم منهم ، لتقدمهم لمربين آخرين ، فهذا ما يحدث لهم في عصرنا هذا ، فهل تغير عن ذي قبل ، وهل نال الأطفال حريتهم .

فضلاً عما سبق ، فهناك عدة ظواهر أينما وجدت ، كثر معها المعبودات من دون الله ، ووجدت العبودية في أي من صورها : فطالما هناك من يعتقدون إنهم ما خلقوا إلا ليسودوا ويحكموا ، وما خلق غيرهم إلا لخدمتهم مقهورين ، والانصياع إليهم مذلولين ، والائتمار بأمرهم مجبورين ، وسواء كان هذا الاعتقاد لفرد أو لطبقة أو لجماعة أو لهيئة أو لدولة ، وسواء تغيرت صفات هؤلاء السادة وهيئاتهم ولهجاتهم بين الحين والآخر أم لم تتغير ، فلا يخرج مطمعهم ومطمحهم عن استعباد الناس كافة ، بأي طريقة أو وسيلة ومهما كلفهم هذا الأمر . من هؤلاء من يوهمون شعوبهم بأنهم أحرار ، من خلال منحهم حرية مطلقة في ممارسة غرائزهم ، وتناولهم للمسكرات والمحرمات بأنواعها ، كيفما يحلو لهم وبدون ضابط ولا رابط ، والتحدث في كثير من الأمور التي تخص الدولة وسياستها الداخلية والخارجية عبر أجهزة الإعلام بدون رقيب ولا حسيب ، وهو ما لا يتوافر في الغالبية العظمى من دول أخرى ، واختيار ممثلين لهم في المجالس التشريعية والنيابية ، ولم يكترثوا بكيفما ينجح هؤلاء ، ولمن ينجحوا ، والغرض الحقيقي من وراء نجاحهم ، وإلى أين تقدوهم تشريعاتهم هذه التي تبيح ما نهى الله عنه ، فضلاً عن ما يرونه من تداول السلطة والذي تتباهي به هذه الدول ، رغم إن في أكثرها لا يتناولها إلا حزبان لا أكثر ، كما لو كانت مباراة كرة ، يتقاسم الفريقان طوال شوطيها امتلاك الكرة ، ورغم ما يعلن ويذاع عن دور المال والدعاية وتوجيه الآراء كما يُراد لها وحسب ما هو محدد ومخطط له سابقاً . ومن هؤلاء أيضاً من يظنون ويشاعون أنهم مبعوثو العناية الإلهية ، وممثلو الله في الأرض ، وقد اختارهم المولى عز وجل واصطفاهم ليكونوا أولياء على البشر ، حكاماً ومستعبدين لهم ، يعلون على كل خلق الله ، ويتكبرون عليهم ، يوحون إليهم بأنهم ينفردون بصفات وقدرات عن سائر البشر أودعها الله فيهم ، وعلى هذا فهم يوصفون بكل كمال ، منزهين عن كل عيب ونقص ، أفعالهم صادره عن تمام الحكمة والمصلحة ، وما ينطقون به مقدساً ، لا يأتيهم الباطل لا من قريب ولا من بعيد ، ولا يسألون عما يفعلون ، فهم ليسوا موضعاً للنقد ولا للمعارضة من أحد ، مقاليد الأمور كلها يجب أن تكون بيدهم وحدهم .

صور وصفات العبيد :

وطالما هناك من يشعر بأنه لا قيمة له ، ولا لحياته ، وأن قيمته لا تتعدى قيمة أي دابة أو غلة تباع وتشترى ، وتنتقل من مالك إلى مالك ، ومن مكان إلى آخر ، وعندما تمرض أو تشيخ أو تتلف ، إما أن تترك تصارع الموت ، أو تلقى فيما يشبه مكب النفايات ، أو تقتل وتستخدم أعضاؤها كقطع غيار ، ويقدم ما بقي من جسدها طعاماً للحيوانات ، ومادام هو على قيد الحياة ، فجسده ووقته وماله وعرضه مباح لسيده يستغله كيفما ووقتما يشاء ويهوى ، فهو لا يملك من أمره شيئاً ، تجده منهك القوى من ساعات العمل الطويلة وقلة الزاد والزواد ، التي لا تسمن ولا تغني من جوع ، ولا تقيم له صلباً ، تكاد تكفيه ليطوي ليله ، في انتظار غد آخر في مسيرة العبودية ، لا يكترث بالحياة ولا يهتم بها ، شعاره دعونا نأكل ونشرب ونتناسل ، وهذا هو هدفنا في الحياة ، لا نريد منها غير ذلك ، ولا أكثر من ذلك ، لا بهمنا من يملكنا أو من يحكمنا ، مستعمراً كان أم ابن بلد ، ظالماً كان أم عادلاً ، فماذا أفادتنا الحرية ، إلا أن بعض المثقفين ورجال الفكر والسياسة ، اتخذونا مادةً لأمسياتهم وحواراتهم ، يرتزقون منها ، وتسير بهم أجهزة الإعلام بذلك نحو الشهرة ، وطالما وجد من يفضل العمل تحت إمرة سيد أو سلطة تحكمه ، تسير له أمور حياته ، ويساق إليها سوقاً ، سواء كان هذا السيد شخصاً حقيقياً أو اعتبارياً ، ومن يتمتع بخضوعه أمام من يظن أنهم أولياء نعمته ، فرحاً بهذا الخضوع ، منتشياً بهذا الانسحاق المذل ، ولو ذهب سيده هذا لبحث عن آخر ، وكلما أزاح عن كاهله طاغية ، استنجد بآخر ، وأقصى طموحاته أن يكون أقل قسوةً وجوراً عن سابقه ، لا شأن له بما يدور حوله من أمور ، فهو لا يسمع ولا يرى ولا يتكلم إلا بما يسمح له ، سلم عقله وحواسه لسيده يوجهها حيث رأى ويسيرها حيثما أراد ، يستسلم للإملاءات التي تفرض عليه ، مطيعاً لها لأقصى حد ، خاضعاً لما يريده سيده ، ولا يعصي له أمراً ، فلا يقبل منه أي نقاش ولا يسمح له بإبداء رأي أو وجهة نظر ، فاقداً لقدرته في التعبير حتى عن همومه وإحزانه وعن أفراحه وأشجانه ، أو اتخاذ أي قرار يخص ذاته ، فهو مسلوب الحرية ،

منزوع الإرادة ، مقهور النفس ، مهزوم الروح ، لا انتماء له ولا ولاء عنده إلا لسيده وحده ، يتبارى في الدفاع عن سيده ، وتبرير صنيعه ، واعتراض نقده ، أو الانتقاص منه ، أو التحريض عليه ، وإن كان على خطأ فادح وصارخ ، يدرك أن سيده يتفنن في إذلاله ، وهو نفسه جلاده ، ولا ينبس ببنت شفة ، ويعلم أن سيده يريده غارقاً في الفقر والمرض والجهل والعنف والدمار ، ولا يتفوه بشيئ ، وعلى يقين بأن سيده لا يحتاجه إلا ليستخدمه في الهجوم على منافسيه وخصومه وتشويه صورتهم ونهب ممتلكاتهم ، أو للتوجّه إلى صناديق الاقتراع لالتقاط صور زائفة عن إقبال العبيد على الإدلاء بأصواتهم لصالحه ، تمسحه بسيده وتذلّله ، كتمسح الحيوانات وتذللها لمربيها ، ولمن يطعمها ويسقيها ، يقدم كل آيات الخنوع من أجل تجنب غضبه ، واتقاء شره ، وكسب وده ، ونيل رضاه ، والعيش بأمان في كنف رعايته ، يقتطع من مدخراته لتقدم كقرابين لسيده تختلف مسمياتها وماهيتها من مكان لآخر ومن زمان لآخر ، منكساً رأسه دائماً ، لا يرفع بصره تجاه سيده ، انحناؤه أمام سيده أو أمام تماثيله ، وصوره أقرب إلى الركوع من الانتصاب قائماً ، لا يكف ولا يمل عن تقبيل يده وأحذيته ، وهكذا تدور به الدائرة حتى يحين أجله ، التجسس على الغير ونقل أخبارهم وأفكارهم وتحركاتهم من شيمته ، بل والإساءة إليهم والتشكيك في إخلاصهم لإثبات وفائه لسيده ، وإبراز شخصه على أنه على كفاءة عن غيره ويستحق أكثر مما هو عليه ، كاذباً بطبعه ، يظهر عكس ما يبطن ، النفاق والتذلل والتودد منهجه ، يتمسكن إلى أن يتمكن ، له عدة أوجه ، وعدة أقنعة وألسنة ، متملقاً لكل ذي سلطة ، وخانعاً مستسلماً لمن بيده حاجاته ، ومداهناً للوجهاء والكبراء ، ومجالساً إياهم ، ومخاطباً ودهم وعطفهم ، مهادناً أو مراوغاً للنظير ، مؤازراً للضعفاء وللقوى الناعمة ساعة ضعفه وتهميشه ، وبمجرد تسلطه واستحواذه على مراكز السيادة والقوة ، فستجده محتقراً إياهم ومتكبراً ومتنمراً عليهم ، يخاف ولا يخجل من صفاته اللؤم والغدر حيث يحتفظ بالضغينة لفترة طويلة لا يسامح أبداً ، يوزع اتهاماته بالخيانة والشيطنة على الجميع ، يبطش ويفتك بمن هم دونه ، دون حد للرحمة أو العدل ،

ولو نزلت بقومه نازلة أو حاقت بهم فاقة ، فكأن الأمر لا يعنيه بالمرة ، يضيف على نفسه صفة النزاهة والوطنية والقدسية ، وبقدر تجبره على الأدنى ، بقدر خضوعه للأعلى ، ومن هو أقوى منه ، ذليلاً وضيعاً ليس بوسعه مغادرة عبوديته لرؤسائه ، ولا شعوره بالنقص في ذاته أمام الجميع ، فهو عبد في ظاهره ، وعبد في باطنه وعبد في أحلامه وعبد في أفكاره وعبد في أخلاقه ، عبد في جوهره وعبد في مخبره ، مثل هذا وهم كثر ، هكذا تكونوا في أرحام أمهاتهم ، وهكذا هي جيناتهم البيولوجية ، وهكذا تبلورت أرواحهم وأحاسيسهم ، ومن يستشعر في نفسه بأن هذه الصفات في مجملها أو بعضها تنطبق عليه فهو ما زال في مجال الرق ، ولا يلومن إلا نفسه .

من يرتضي بالاستعباد ومن لا يرضى به :

وختاماً لابد من أن نفرق بين نوعين من البشر تم استعبادهما ، أولهما : من وقع تحت نيران العبودية قهراً وغصباً وغلبةً ، ومثل هؤلاء تجد في داخل البعض منهم ، نزعات إلى الحرية ، وتطلعات لفك أسرهم ، وتحرير أنفسهم ، كلما شقت لهم ثغرة أو فجوة أو هوة أو مجرد فرجة أو صدع ، هبوا للخروج منه ، وإذا جاءتهم فرصة للتحرر بأي من السبل اقتنصوها بكل ما لديهم من طاقة ، فقد حدثت ثورات للعبيد في معظم المجتمعات تقريباً التي كانت تمارس نظام العبودية ، ومن أمثلة هؤلاء الذين غيروا أو حاولوا تغير مسرى حياتهم ، العبد سبارتاكوس الذي قاد أشهر تمرد للعبيد ، في أوربا بإيطاليا الرومانية بين عامي ٧٣ – ٧١ قبل الميلاد ، وفي عهد الدولة العباسية حدثت ثورة الزنج أو ثورة الزنوج كما يسميها البعض ، والتي تضمنت سلسلةً من الانتفاضات بين عامي ٨٦٩ – ٨٨٣م قرب مدينة البصرة في العراق ، كما كان المماليك جنوداً عبيداً ، اعتنقوا الإسلام وخدموا الخلفاء والسلاطين الأمويين ، ومع مرور الوقت أصبحت هذه الطبقة قوةً عسكريةً قويةً ، وقرروا الاستيلاء على السلطة لأنفسهم فحكموا مصر ٢٦٧ عاماً منذ ١٢٥٠ حتى ١٥١٧م ، وقد استطاع جيش المماليك بقيادة سيف الدين قطز ، إلحاق أول هزيمة قاسية بجيش المغول ، في معركة عين جالوت ، كما حقق بعض العبيد العثمانيين شهرةً كبيرةً واعتلوا مناصب ومراكز هامةً في بلادهم .

وثانيهما : من يقع تحت وطأة العبودية عن رضىً بها ، استلذ الاستعباد ، وارتاح للاسترقاق ، فسلم نفسه لها طواعيةً ، وأذعن وخضع ورضخ لمن يقوده ويوجهه ، ويأمره وينهاه ، ويطعمه ويسقيه ، ويكسوه ويعريه ، ويشبع له شهواته ، يجد فيها ملاذه ومغرمه ومبتغاه وأقصى أمانيه ، ورغم كل مآسي حياته ، تطيب لها نفسه ، ويفضل بقاءها على ما هي ، وإن وردت عليه خاطرة رغبةً في التخلص مما هو فيه ، يقتلها في مهدها ، فشيطنة دعاة التحرر والمجاهدين ، والعذاب الذي يقع عليهم ، والويلات التي يتعرضون لها ، دافع له للاستسلام لواقعه ، وتثبيط لأي همة لديه للتحرر ، ومثل هذا وهم كثرة كثيرة مهما فتحت لهم أبواب للخروج من العبودية تأنف نفوسهم ذلك ، ويأبون الخروج منها ويفضلون البقاء تحت وطأتها ، ليس لديهم أي رغبة أو إرادة لتغير الأوضاع المزرية التي يعيشونها ، وكلما فتحت لهم نافذة من نوافذ الحرية ، أقاموا أمامها المتاريس ، وأغلقوها بالضبة والمفتاح ، فعندما أراد المولى عز وجل ، أن تهب بعض نسائم الحرية على شعوب المنطقة ، أبت جحافل العبيد ، ألا يستنشقوا عبيرها ، وألا يتنفسوا هواءها العليل ، فهبوا على قلب رجل واحد ، ليقيموا المصدات والمتاريس والحصون أمامها ، وليعيدوا أنفسهم إلى حظيرة العبودية مرةً أخرى ، وأبوا ألا يمضي عليهم الليل ، إلا وهم أسرى وسبايا في حظيرة العبودية مرةً أخرى . ومثل هؤلاء يمثلون شريحةً كبيرةً في أي مجتمع ، تتسع لتشمل مثقفين وأصحاب مناصب وأثرياء ووجهاء مجتمع وساسة ومدعين التزامهم بالدين خلقاً وسلوكاً ، ومؤدين للشعائر والعبادات ، وتشمل أيضاً فئات من قاع المجتمع لم ينالوا أي قسط من التعليم ، ويعيشون كفافاً يوماً بيوم ، إن وجدوا فطورهم لا يجدون عشاءهم ، وإن وجدوا كسوة الصيف لا يجدونها للشتاء ، تأويهم العشش والبنايات الآيلة للسقوط ، فالأمم التي تستلم للذل ، خوفاً من الموت ، تموت في كل لحظة وفي كل موقف ، وهي تتوهم أنها ما زالت على قيد الحياة .

ولذا بعد ذلك كله فليس من المستغرب أن نجد في أيامنا هذه من يرفع شعاراً ينادي بالحرية ، أو من يصرخ مستغيثاً أعتقونا لوجه الله .

حب النبي صلى اللّه عليه وسلم

الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي
تعريب : الأخ نعمت اللّه قاسم الندوي *

واقع البشرية قبل بعثته صلى اللّه عليه وسلم :

حينما نلقي نظرةً على واقع الإنسانية قبل بعثة النبي – صلى اللّه عليه وسلم – ندرك أن الإنسانية آنذاك نسيت القيم والمثل والأخلاق ، وتغافلت عن القوانين والمبادئ التي يقوم عليها أساس المجتمع البشري فترفعُ كل ما يَهوي ، وتُحسن كلما يسوؤ ، وتُصلح كل ما يَفسد ، فلم يكن هناك وازع ديني وخلقي وإنساني . وكانت البشرية في متاهات حالكة ضيقة ، تعيش بعيدةً عن الرسالات السماوية والتوجيهات الربانية الإلهية ، وغشيتها غاشية من الجهل والغفلة ونسيان الآخرة . وكان الإنسان حين ذاك يعيش حياته تحقيقاً لمطالب النفس وسعياً وراء الشهوات واللذات شأن عبد خاضع لما تملي عليه نفسه ، ممتثلاً لما تدعو إليه تلك التقاليد الجاهلية والعادات الهمجية القاسية ، وكان في ضيق وقلق وعسر وشظف حتى جاء الإسلام ، وأعلن بقول اللّه عز وجل : (يا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [الحجرات : ١٣] . وبقوله تعالى : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ ٱلطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) [الإسراء : ٧٠] .

فقام الإسلام بتكريم الإنسان الخاضع المهين المقيد بالطقوس والتقاليد ، الذي استخفه السادة والحكام واستبد به الرؤساء والملوك ، إذ منحه الحرية البشرية التي لم يزل يحرم منها منذ حقبة من الزمان .

فإذا قال أحد : كيف أخرج الإسلام الإنسان من ضيق الدنيا إلى سعتها ، وقد كانت هناك حكومات كبيرة واسعة وإمبراطوريات عظيمة

* معهد الدراسات العلمية ، ندوة العلماء ، لكناؤ .

هائلة ، فالجواب ما ذكرناه سابقاً أن الإنسان في الواقع كان يعيش حياته في ضيق وشدة وقلق ، منغمساً في الشهوات واللذات ، وكان عبداً مستسلماً لكل ما تطلب منه نفسه التي انحرفت عن جادة الحق وسهت عن دين اللّه السماوي الصادق .

ولقد ذكر المؤرخون أن الملك الساساني الأخير يزدجرد عندما هرب بعد الهزيمة التي لقيها من قبل المسلمين ، واشتد به العطش ، فلجأ إلى كوخ ، وطلب من صاحبه الماء ، فقدم إليه الماء في كأس من طين ، لكن يزدجرد رفض شرب الماء في الكأس الطينية قائلاً : إنني لم أشرب الماء في حياتي قط إلا في آنية من فضة وذهب ، سأختار الموت ، فأن أموت خير لي من أن أشرب الماء في كأس من طين . فكأنه كان عبداً لأواني الذهب والفضة ، أسيراً وهي حاكمة عليها . فالإنسان في ذلك العصر خضع كل الخضوع لعاداته التي دائماً ما تلبي نداءات الهوى وتجيب دعوات النفس حتى أصبح الموت أسهل تحملاً على النفس وأزين لها من شرب الماء في إناء من طين .

فضله على المجتمع البشري :

فما أحسن إلى البشرية أحد ومن عليها في تاريخها العظيم مثلما منّ وأنعم عليها نبينا محمد صلى اللّه عليه وسلم . فلقيت البشرية على يديه نعماً ومناً يصعب على العقل الإنساني تصورها .

فإذا تأملنا قليلاً وجدنا أن جميع أسباب الحب تنتهي إليه – صلى اللّه عليه وسلم – . فلقد منحنا النبي صلى اللّه عليه وسلم كل خير وسعادة . ولولا دينه وشريعته لكنا ضائعين تائهين ، ولم نكد نعرف مصيرنا وعقبانا ، ولكنا نجهل حقيقة الحياة ، وسر خلق الإنسان وبعثه إلى هذا الكون .

وإن جميع الحقوق التي نعرفها في علاقاتنا الاجتماعية هي من بركة تعاليمه – صلى اللّه عليه وسلم – . فلولا توجيهاته وتعاليمه لما نال الأب حقه كأب ، والأم حقها كأم ، والأخ حقه كأخ ، والجار حقه كجار .

أنواع الحب :

إن بعض العلماء قسموا الحب إلى نوعين : الحب الطبيعي والحب العقلي أو الحب الطبيعي والحب الإيماني . أما الحب الإيماني فإنه يبدأ بالعقل ، ثم ينتقل إلى الطبيعة فيتغلغل في القلب حتى يصبح جزءاً لازماً من طبيعة الإنسان . وإن هذا النوع من الحب يتضمن كلا الجانبين جانب العقل وجانب القلب . فإنه في غالب الأحيان يفوق الحب الطبيعي البحت .

وأما الحب الذي يشعر به الوالدان تجاه أولادهما ، فإنه حب طبيعي محض ، وليس حباً عقلياً ، ولكن الحب الإيماني الذي هو حب اللّه ورسوله – صلى اللّه عليه وسلم – يبدأ من العقل ثم يتخذ سبيله تدريجياً إلى الطبع ، فيصير مزيجاً من العقل والقلب ، وإن هذا ما يجعله أقوى وأعمق من الحب الطبيعي العام .

واقع العالم الغربي :

إذا فكر أحد في الحب الطبيعي بعقلانيته وحدها أصيب بالتراجع مما يدفعه إلى اجتراح أعمال عجيبة كريهة ، ويبعثه على ثورة ثائرة على النظام البشري السديد السائد ، كما نرى ذلك في هذه الأيام في المجتمعات الغربية بصفة خاصة وفي مجتمعاتنا بصفة عامة حيث يزج الناس بآبائهم وأمهاتهم في دور المسنين (Old Age Home) فراراً من الاضطلاع بالأعباء المادية ، واستجابةً للعقلانية البحتة . وكذا يستثقلون الإنفاق على أبنائهم . فإنهم يحسبون أن الإنفاق مهما كان جسيماً لن يعود عليهم بأي فائدة ، ولن يكسبهم ثمرةً في المستقبل ، فيتجاهلون حقوق أبنائهم غير مبالين بالمسؤوليات التي نيطت بهم نحو أبنائهم . فيُلقون الحبل على غاربهم . فيرسمون لأنفسهم ما شاؤوا من وجهة يولونها في حياتهم ، ويتخذون مبادئ كلها خنوع لأهواء النفس وركوع لمشتهياتها .

وأما الآباء فكأنهم عبيد لأبنائهم ، فلا حق لهم على أبنائهم ، لا يستطيعون أن يأمروا أطفالهم بشيئ ، ويشددوا عليهم في تربيتهم وتوجيههم . فإذا عاقب الأب ابنه على خطأ صدر منه أو ضربه على جريمة اقترفها أخذ الابن هاتفه يتصل من فوره بالشرطة فتأتي الشرطة وتلقي

القبضَ على الأب ، فلا يمكن الأبَ أن يربي ابنه ويقوم بإصلاحه وينبهه على أخطائه ويحذره من زلاته . فإن هذا قانون عجيب وغير طبيعي تستنكره الفطرة السليمة الصحيحة مما يتسبب في إحداث كثير من المشاكل الاجتماعية .

هذا ما قدمته أوروبا للعالم البشري من خراب اجتماعي واضطراب أسري وعمل همجي وإفلاس روحي وتدهور فاحش في القيم والأخلاق وتشتت للعلاقات الاجتماعية في صورة الحرية الجذابة وفي الشكل التقدم التكنولوجي الخلاب .

فإذا نظر إليهم ناظرٌ بمنظار العقل المادي الظاهر وجدهم أذكياء مثقفين . ولكن إذا أمعن النظرَ وأطال التأمل أدرك أنهم كالبهائم في العقل والفهم والسلوك ، لا يهمهم إلا المادة والمعدة .

كان الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي يقول : إن هناك تناقضاً غريباً في أوروبا . أما في التقدم والصناعة والإبداع فقد بلغوا عنان السماء ، وأما في السلوك والأخلاق فإنهم يشبهون البهائم والحيوانات ، وربما يفوقونها .

ويرجع كل ذلك إلى أنهم تبنوا مناهج حياتهم واتخذوا قراراتهم على أساس العقل المجرد ، فلا نرى فيها للقلب دوراً وللعاطفة مكاناً .

حب أهل الإيمان :

لقد وصف اللّه المؤمنين في كلامه المجيد بأنهم لا يقبلون على إرشادات وتوجيهات من ربهم دون وعي وتفكير ولا يكبون عليها صماً وعمياناً ، بل إنهم يفكرون فيها ويتدبرونها ويتأملون فيها تأملاً عميقاً واعياً . ثم يأخذونه ويتبعونه على وعي وبصيرة . يقول تعالى : (وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً) [الفرقان : ٧٣] .

فإن التأمل في الآيات واتباعها على وعي وبصيرة يجعل الإنسان مطمئناً بها ثابتاً مستقيماً عليها بقوة وصلابة متيقناً بما فيها الخير والسعادة .

وكذا حال الحب العقلي فإن الإنسان حينما يتدبر في أسباب

الحب ويتأمل فوائده ويعرف مقاصده ويمعن النظر في ميزات الحبيب ، وفي خصاله وخلاله يدرك أن أسمى وأقوى معاني الحب وأسبابه من الجمال والكمال والفضل والرحمة والعطاء توجد في ذات اللّه تبارك وتعالى وشخصية نبيه محمد – صلى اللّه عليه وسلم – . فيخلق هذا التفكير فيه طمأنينة وثقة بنفسه وعمله وحبه وميله ونزعته واتجاهه ، فيبادر مندفعاً نحو الحصول على هذه النعمة الثمينة الجليلة ، نعمة الحب العقلي ، نعمة حب اللّه ورسوله عليه الصلاه والسلام . فاتضح أن الحب العقلي الإيماني ينشأ أولاً في عقل الإنسان ، ثم ينزل إلى القلب ويتغلغل في أحشائه ويتمكن من أعماقه حتى يصبح جزءاً لازماً من طبيعته .

حب أصحابه صلى اللّه عليه وسلم :

لقد أحب الصحابة – رضي اللّه عنهم – نبيهم الحبيب محمداً – صلى اللّه عليه وسلم – حباً عقلياً وقلبياً وطبيعياً ، وحدث في حياتهم انقلاب عظيم بفضل البعثة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام ، فغيّر الحب العقلي الذي نشأ في عقلهم أول ما زاروا النبي صلى اللّه عليه وسلم وتمكن من قلوبهم ووقع فيها كل موقع حياتَهم الوحشيةَ إلى حياة إنسانية إيمانية تحفل بالرحمة والتضحية والفداء .

وكانوا من قبل مفرقين موزعين في قبائل وجماعات تتحارب وتتقاتل ، وكان من تلك القبائل قبيلة قريش التي انقسمت إلى قبائل فرعية ، منها بنو هاشم ، وكانت هذه القبائل الفرعية من قريش تتناحر وتتناطح وتسعى كل واحدة منها دائماً أن تتفوق على أخرى فحينما بعث النبي صلى اللّه عليه وسلم في بني هاشم لم يكن قبول دعوته واعتناق دينه على هذه القبائل المتناحرة سهلاً ميسوراً ، فتفكروا وتأملوا واستخدموا في ذلك عقولهم حتى علموا أن سعادتهم مكنونة ومحصورة في الإيمان به واتباعه واحتضان كل ما جاء به من عند اللّه تعالى .

فأحبوه حباً خالصاً صافياً من كل ريبة وتشكك وتذبذب . فلم يكن حب الصحابة رضي اللّه عنهم عاطفياً مؤقتاً فحسب ، إنما كان حباً عقلياً عاطفياً طبيعياً إيمانياً يجمع بين العقل والقلب .

(للحديث بقية)

رعاية الله للمرأة على تداول الأزمان
في عُش الزوجية

(الحلقة الثانية)

بقلم : الدكتور غريب جمعة *

نعود إلى الحديث عن رعاية الله للمرأة ، ولكنها في هذه المرة عند الزواج .

عند بداية تكوين عش الزوجية :

وإنك لتجد حرمة المرأة في الشريعة الإسلامية مصونةً حيث لا تُزوج إلا برضاها واطمئنان نفسها وإذعان قلبها مادام اختيارها كان موفقاً ومسدداً .

نعم حق الولي ثابت ، ولكن هذا الحق لا افتئات فيه ولا ظلم ولا حجر للمرأة عن الزواج ، وإنما هو تيسير السبيل واختيار الأحسن والأصلح .

وتفاوت السن الكبيرة بين الرجل والمرأة ينبغي أن يراعى في الزواج وإلا كنا قد ألقينا المرأة في أتون من النار وفي حفرة من جهنم ، وهذا بلاء كبير لا يحتمل ولا يسكت عنه ولا يفعله إلا الذين لا ضمير ولا إنسانية لهم ، بل الذين أعمتهم الأطماع وأغواهم الشيطان بزخرف من زخارف الدنيا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وتأمل حديث بريرة ومغيث لترى إنصافاً للمرأة ما بعده إنصاف وتقديراً لمشاعرها ما بعده تقدير . عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " إن زوج بريرة كان عبداً يقال له مغيث كأني أنظر إليه خلفها يطوف ودموعه تسيل على لحيته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس : ألا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثاً ؟ فقال لها صلى الله عليه وسلم : لو راجعتيه . فقالت : يا رسول الله ! تأمرني ؟ قال : لا إنما أنا

* جمهورية مصر العربية .

شافع . قالت : يا رسول الله ! لا حاجة لي فيه (خ . د . ت . ن) [1] .

وتأمل هذين الحديثين أيضاً : " عن عبد الرحمن ومجمع ابني يزيد ابن جاريه الأنصاري عن خنساء بنت خزام الأنصارية " أن أباها زوَّجها وهي ثيب . فكرهت ذلك . فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فرد نكاحه " ، أخرجه البخاري .

عن عائشة رضي الله عنها : " أن فتاة دخلت عليها فقالت : إن أبي زوجني من ابن أخيه ليرفع بي خسيسته ، وأنا كارهة . فقالت : إجلسي حتى يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم . فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأخبرته . فأرسل إلى أبيها فدعاه . فجعل الأمر إليها . فقالت : يا رسول الله ! قد أجزت ما صنع أبي ، ولكني أردت أن أُعْلم النساء : أن ليس للآباء من الأمر شيئ " . وفي نسخة السماع : " أردت أن أعلم أن للنساء من الأمر شيئ " ؟ أخرجه النسائي .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " آمروا النساء في شأنهن " ، أخرجه أبو داود .

وهذه القاعدة أخذ بها الفقهاء فإن الرجل الذي يزوج ابنته الصغيرة قبل البلوغ فلها الخيار أن تنقض الزواج إذا بلغت " .

في عش الزوجية :

مصير كل فتاة إلى بيت الزوجية حيث تسكن نفسها ويطمئن قلبها وتعيش شركة مباركة مرضية لا تنغيص فيها ولا كآبة ولا مهانة .

والمرأة التي تعيش في بيت الزوجية سعيدة فلا بد أن يسعد بها الرجل والأبناء أيضاً وأهل الزوجين . أما إذا كانت المرأة شقية في هذا البيت فالشقاء يعم الجميع .

وقوام سعادة المرأة في بيت الزوجية إنما يكون بمقدار امتثالها لأمر ربها في هذا البيت ورضاها بعيشها فيه وعدم التطلع إلى سواها لأن الرضا مبعث السعادة وقوامها . وذلك إذا عرفت أن للزوج حقوقاً يجب أن تحترم وتؤدى ، وإذا عرف الزوج أن للزوجة حقوقاً يجب أن تحترم وتؤدى .

---

[1] المنهاج البديع في أحاديث الشفيع صلى الله عليه وسلم ، تأليف محمد على الأنس ، بيروت ، طبع على نفقته ١٣٧٤هـ ، الجزء الثالث ، باب : بريرة ، ص ٣٣٩ .

وهذا منصوص عليه في قوله تعالى : (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) . [البقرة : ٢٢٨] .

ودرجة الزوج إنما هي تكاليف وإرهاق ومسئولية رفع الله سبحانه وتعالى المرأة عن ذلك كله . ومتى حصل الاتفاق بينهما على هذا الأمر فلا خلف ولا تباين ولا تنابز ، لأن مثار كل ذلك إنما هو الانحراف عما فرض الله لعباده .

ومهما يكن فالله سبحانه وتعالى أدرى بمصالح العباد من أنفسهم ، والعادة أن الإنسان إذا نزلت به نازلة أو ألمت به ملمة يلجأ إلى حكيم يستشيره ويأخذ بنصحه وإرشاده . فما بالك إذا كان رب العالمين وأحكم الحاكمين هو الذي قدم هذا الإرشاد والنصح لعباده في أمر بيت الزوجية وسواه . ألا ترى أن الله جل جلاله بعد أن ذكر ما للمرأة وما للرجل من حقوق أوصى الرجل كذلك بها بصورة عامة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره ، وغلام أسود يقال له أنجشة يحدو ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ويحك يا أنجشة ! رويدك سوقك بالقوارير " . قال أبو قِلابة (بكسر القاف) : يعني النساء .

وفي رواية قال : " كان للنبي صلى الله عليه وسلم حاد يقال له : أنجشة ، وكان حسن الصوت ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ، رويدك يا أنجشة ! لا تكسر القوارير " . يعني ضعفة النساء . [أخرجه البخاري ومسلم] .

وللبخاري أيضاً قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم في مسير ، فحدا الحادي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " أرفق يا أنجشة ويحك بالقوارير " . (رويدك سوقك بالقوارير) رويدك بمعنى : أمهل وتأن وارفق .

قد جاء في الحديث أنه أراد من القوارير : النساء ، وشبههن بالقوارير لأنه أقل شيئ يؤثر فيهن ، كما أن أقل شيئ من الحداء والغناء يؤثر في النساء أو أراد : أن النساء لا قوة لهن على سرعة السير ، والحداء مما يهيج الإبل ، ويبعثها على السير وسرعته ، فيكون ذلك إضراراً

بالنساء اللواتي عليهن [1] .

والقوارير هن قناني (جمع قنينة) الزجاجة الرقيقة التي يجب أن تحفظ وتدارى ، والرجل متى ما حافظ على زوجته وداراها بالحسنى في شئونها فإنه يعيش سعيداً بها وتعيش هي أيضاً سعيدة به سعادةً عمليةً متصلة على مدى الحياة لا يكدر صفوها مكدر ولا ينغصها منغص .

وخلاصة كل ذلك هي : في المعاشرة بالمعروف ، والمعروف هو الجامع لكل أمر خير مبارك محبب إلى النفوس . فيه السداد والرعاية والبشاشة ولين الكلمة ولين الجانب كل ذلك داخل في معنى المعروف قال تعالى : (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً) . [النساء : ١٩] .

ألا ترى أن الله جل جلاله يفتح باب الأمل والرضا للزوجين إذا تطاول بهما العمر وامتدت الحياة . والحياة لا بد لها على مدى مجاريها من عثرات وحُفر وأشواك . هذه هي التي تجعل الزوجة أحياناً تعتريها السآمة والكراهية وكذلك الزوج . ولكن الله جل جلاله أفهم الزوج والزوجة معاً أن هذه الكراهية لا تدوم ، وكم من إنسان كره أمراً ثم عاد إليه راضياً محباً .

أجل باب الأمل مفتوح لأن عسى في كلمة الله هي أمل سيحقق بإذن الله متى امتثل الرجل والمرأة أمر الله ورضيا بالواقع ونهجا منهج الرضا والقبول والمسايرة والملاحظة والتحمل وسوى ذلك مما يكدر عادة صفاء الحياة الزوجية .

أجل عسى هي الأمل الكبير من الله الأكبر الذي بيده ملكوت كل شيئ ، وهو القادر على إنفاذ ما وعد . فما على الزوج إلا الصبر ، وما على الزوجة إلا الصبر . وأما جلاء الغمة وكشفها وإزاحة الكراهية لتعود فرجةً وخيراً هو أمر محقق من رب العالمين لمن امتثل أمر الله وصبر ونهج منهج الحق والخير في حسن الحال والمآل .

---

[1] جامع الأصول من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم للإمام المبارك محمد بن الأثير الجزري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧١م ، المجلد الخامس ، ص ١٧١ وما بعدها

وتأتي وصية الرسول صلى الله عليه وسلم بالنساء لتضيف إلى ما سبق نوراً على نور ، وتأكيداً على تأكيد . . حيث يقول صلى الله عليه وسلم : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يفرك مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر . أو قال غيره " . [رواه مسلم] . وقوله " يفرك " هو بفتح الياء وإسكان الفاء وفتح الراء ومعناه : يُبْغِض . يقال : فَرِكت المرأة زوجها وفركها زوجها بكسر الراء يفركها بفتحها : أبغضها . والله أعلم .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة " . [رواه مسلم] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " استوصوا بالنساء خيراً ، فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه . فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء " . [متفق عليه] .

وفي رواية في الصحيحين : " المرأة كالضلع إن أقمتها كسرتها وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج " .

وفي رواية لمسلم : " إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة ، فإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج ، وإن ذهبت تقيمها كسرتها . وكسرها طلاقها " .

المرأة الأم :

وحين تكون المرأة أماً تكون عماداً لأسرتها وقواماً لذراريها وسنداً لزوجها فهي أشبه بالعماد الذي يرفع البيت عالياً وينصلح به الحال .

والأم هي كل شيئ في الحياة . إنما الحياة أم . ألا ترى أن كل شيئ يبحث عن أصله ومرجعه ويسمونه أماً .

إذاً فالأم هي قوام البيت وسنده وحنانه ورحمته وبشاشته وتدبيره . وليس ذلك من باب الكلام الطائر ، وإنما هو حقيقه واقعة في وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم الماثلة في هذا الحديث الشريف : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال : " يا رسول الله ! من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : " أمك " ، قال : ثم من ؟ قال : " أمك " . قال : ثم من ؟ قال : " أمك " . قال : ثم من ؟ قال : " أبوك " . [متفق عليه] .

فأنت ترى في هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصي بالأم ثلاث مرات وفي الرابعة بالأب . فكأن للأم ثلاثة أرباع البر حيث إنها تتحمل ثلاثة أرباع المسئولية عن حياة الأسرة وسعادتها ، والرجل له الربع وهو القوامة .

وكل تدبير في البيت وكل تنظيم إن لم يكن مبعثه من الأم الواعية لرسالتها فلا تدبير ولا تنظيم . ولو قلت حياة بيت الزوجية إنما تقوم على الأم فلا تعدو الواقع أبداً . ولذلك كان من الخطأ والخطر معاً والبلاء يثلثهما إذا كانت الأم فارغةً من العلم بمسئوليتها عن بيتها وزوجها وأولادها ، وتعيش عيشة اللامبالاة ، ولا تفكر في تنظيم العيش في منزلها وتقدير نفقاته ، وما يتصل بذلك ، فإن البيت بلا ريب يتداعى ويتفرق أهله ويصبح أثراً بعد عين .

وهل أضر بيت الزوجية في الإسلام وكاد يقوض أركانه إلا الجهل بحقيقة الإسلام وتعاليمه وإرشاداته ونصائحه لبناء الأسرة وإصلاح حالها وتربية الأبناء ليكونوا أمل المستقبل ورجاء الأمة وأسس النهضة المباركة في أمتهم ، وهذا كله يفتقر إلى إعداد وتفكير وعمل متواصل لأن الشيئ لا يكون بنفسه ولكن بالرعاية والعناية .

ألا ترى الشجرة التي تزرعها في بيتك إن لم ترعها وتقدر لها غذاءها وحرثها وما يتصل بها تذبل وتموت ، وهذا شأن الأولاد فإن لم يكن وراءهم فكر نير وقاد وعمل جاهد ساهر وإصلاح وطيد وتوجيه سديد ومراقبة دقيقة فإنهم يعيشون سبهللة ، لا يدرون ما يأخذون ولا ما يدعون إلا بما يتصل بأهوائهم وطفولتهم ، وهنا يدخل دور رفقاء السوء الذين يضيعون النسل شر ضياع ، ويقضون عليه القضاء المبرم ، وحينئذ يقف الوالدان يبكيان ولا رجاء ولا فائدة في البكاء ، ولأن الحياة عمل وسهر وجد واجتهاد وقوة وإرادة وتصميم ، هذه هي الحياة في صورنا الحقيقية البناءة .

ولا شك أن من يطلع على حقوق المرأة في هذه العجالة وينعم نظره فيها ويدرك مدى ما عليها ، ولها أعظم أمر الزوجية وأكبرها وعلم أنها مناط الحياة ومدار السعادة ومستقر الأمة ومحل أسس بنائها . وأدرك لولا المرأة لما كانت الأسرة والأولاد . وعبء الأسرة والأولاد إنما تتحمله المرأة في كثير كثير .

فالذي ينظر بصغار إلى المرأة ويحتقرها إنما هو الصغير المحتقر ، والمرأة لم تخلق لتكون محل لذة فحسب . وهذا تترفع عنه الحيوانات وليس من الواقع في شيئ . إنما المرأة عماد بيت وقوام منزل وتربية أسرة وسعادة عيش ومستقر رحمة ودعامة عفاف وثروة خلق وحضن طفولة وسقاء ماء الحياة لهذه الطفولة الفضة الغضة .

ناهيك والمرأة هي التي تتحمل العبء الكبير لنشأة الحياة وبنائها ورعايتها . فهل يسوغ لمن يعلم أن المرأة لها هذه الدرجات العلى وهذه الرعاية من الله ، وهذا الإعداد العظيم لتكون الأم في منزل الزوجية .

هل يصح بعد ذلك أن تعامل بالطلاق والفكاك لأجل لذة بهيمية تصيب بعض الرجال الذين يعيشون عيش الحيوان ولا يدرون ما يفعلون .

ولولا الطلاق الذي يعتري بعض النساء ظلماً وبهتاناً لما حصل فساد في الأرض وانحطاط في الخلق ، والسبب كل السبب هو البعد عن أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعالم سنته وطرائق أخذه في الحياة الدنيا والإعداد للحياة الآخرة .

والطلاق وسيلة هدم وتقويض أركان وإعصار جائح وزلزال مدمر ، لا ينبغي أن يدخل في بيت الزوجية مادام البناء قائماً على أسس الإصلاح والخير والاستقامة والرشد والفكر والعقل والتأمل في مصائر الأمور لأن دخوله معناه النهاية التي لا يرضاها الله ورسوله والمؤمنون إلا في أضيق الحالات وأحرجها .

حينئذ يكون الفكاك رحمةً كما يكون الوصل رحمةً . نعم فكاك الزوجية ليس هيّناً ، ولكن لن يصلح العطار ما أفسد الدهر .

(وإلى حديث قادم إن شاء الله) .

حفظ الفروج – وقاية صحية

الدكتور عبد الصمد الندوي *
الدكتور محمد رفيق الحسني ♣

إن المجتمعات الدولية – لاسيما المجتمعات الغربية التي تمتاز بالإباحية المطلقة وحرية الجنس – تواجه مرض " الأيدز " نقص المناعة مواجهة شديدة ، كما أنها تشكو من انتشاره المذهل تفشياً وإزعاجاً وأرقاماً بالملايين للوفيات سنوياً .

ومما لا شك فيه أن ديننا الإسلامي الحنيف بتشريعاته الكاملة وتعاليمه الشاملة يمثل أرقى مستوى في علاج كثير من الأدواء الاجتماعية ، وقاية قبل قدوم خطر المرض ، وعلاجاً عند حلوله ، فقد مدح الله المؤمنين والمؤمنات بحفظ فروجهم ، ومجانبتهم الآثام التي تحصل من الابتعاد عن الحصانة التي حفظ الله بها صحتهم ، ووقاهم بحسن اتباع للأغراض النبيلة ، فيقول سبحانه وتعالى : (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ، فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ)[1] .

وإنَ المتمعنَ والمتدبر في كل آية من هذه الآيات القرآنية الكريمة ، يجد فيها حكمة الله الجليلة ، إذ فيها علاج لداء من أدواء الفرد والمجتمع أو الجسم الإنساني ، بسبب أن الإسلام بتعاليمه الشاملة السمحة العادلة يحرص حرصاً شديداً ، على تكوين المجتمع المتماسك النظيف ، والجسم العامل في هذا المجتمع ، ولا ينفك أحدهما عن الآخر . فلذلك يصف الله تعالى المؤمنين في آية ثانية –أيضاً – بأنهم يحفظون فروجهم ، ويأمرهم – أيضاً – بقوله : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ)[2] .

---

* أستاذ مساعد بكلية الدراسات العربية والإسلامية بجامعة هلال بي ، يس ، عبد الرحمن للعلوم والتكنالوجيا ، وندلور ، تشنائ ، الهند .
♣ أستاذ مساعد بكلية الدراسات العربية والإسلامية بجامعة هلال بي ، يس ، عبد الرحمن للعلوم والتكنالوجيا ، وندلور ، تشنائ ، الهند .

[1] سورة المؤمنون : ١ – ٧ .
[2] سورة النور : ٣٠ .

غض البصر وحفظ الفرج يحفظان المجتمع من الانهيار :

ومن المعلوم أن حفظ الفروج يلزمه غض البصر ، لأن الله سبحانه وتعالى بدأ بغض البصر ، وثنّى بحفظ الفروج : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) .

ومن الطبيعي أن المجتمع يتماسك ويقوى حينما يغض البصر ويحفظ الفروج ، وإذا تفحصنا عن أشد المجتمعات فساداً وانهياراً وجدناه يمتّ إلى عدم غض البصر وحفظ الفروج – الزنا وما يشبهه من سفاح وبغاء وشذوذ – وقد قال الله عز وجل : (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ) [1] .

فَمَا حرّم الله الزنا ، إلاّ لما وراءه من مفاسد ومضارّ : منها اختلاف الأنساب ، وموت الغيرة الدينية ، وعدم الاستقرار النفسي ، وذهاب المودة والرحمة ، الذي حدده الله تعالى ، في كنف عش الزوجية ، ثم ما نشأ في كثير من المجتمعات التي استمرأت هذه المعصية ، من تفشي الأمراض العديدة ، وفي مقدمتها أمراض الجهاز التناسلي مما ينعكس على الثمرة وهم الأولاد .

الفوائد من غض البصر وحفظ الفروج :

من فوائد غض البصرالفلاح والفوز برضوان الله تعالى ، كما أن حفظ النسل ، وطهارة الإنجاب من فوائد حفظ الفرج ، وبه ينشأ المجتمع نقياً من الدنس ، وأدران الزنا ، وبه تخلو القلوب من التعلق بالمحرمات ، وهذا يحفظ المسلمين من أن يسري فيهم داء الزنا ، وما يتبعه من أوبئة خبيثة ، ويحفظ الصحة العامة من الأمراض المتعدية الفتاكة كالزهر والإيدز ، ويمنع المفاسد ، ويطهر الذمم ، ويؤلف القلوب ، وينشر الأمن ، ويصون الأعراض بين أفراد المجتمع البشري العالمي .

ومما لا شك فيه أن من صفات المؤمنين المفلحين حفظ الفروج من اللواط والزنا ، ونحو ذلك ، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى في كتابه أن حفظ الفروج من صفات المؤمنين المفلحين ، الذين هم يرثون الفردوس ويخلدون فيها ، فقال تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ) ، ثم قال تعالى : (أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) .

وأثنى سبحانه في سورة المعارج على المؤمنين الذين يتحلون بصفات عالية منها حفظ فروجهم ، وأخبر أنهم يدخلون الجنات يكرمون فيها

[1] سورة المعارج : ٢٩ – ٣٠ .

بالنعيم ، فقال : (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ) ، ثم قال : (أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ) .

قبائح الزنا ومفاسده :

إن الزنا ليس من صفة المؤمنين ، لأنه ينافي حفظ الفروج الذي أخبر الله بأنه من صفة المؤمنين المفلحين الناجحين ، فلذلك حرّمه الإسلام ، ونهى الله عباده عنه وعن مقاربته ، ومخالطة أسبابه ودواعيه ، وبين أنه فاحشة ، وأنه بئس طريقاً ومسلكاً ، فقال تعالى : (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً) [1] .

وسماه الله تعالى فاحشةً أي : إثماً يستفحش في الشرع والعقل والفطرة ، وما ذاك إلا لتضمنه التجرؤ على الحرمات في حق الله ، وفي حق المرأة ، وفي حق أهلها ، وإفساد الفراش ، واختلاط الأنساب وغير ذلك من المفاسد ، ولذلك يقول سبحانه : (وَسَاءَ سَبِيلاً) أي : بئس السبيل سبيل من تجرأ على هذا الذنب العظيم كما قال العلامة الشوكاني : أَيْ : بِئْسَ طَرِيقاً طَرِيقُهُ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى النَّارِ ، وَلَا خِلَافَ فِي كَوْنِهِ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ [2] .

ولقبح هذا الذنب وعظمه وشناعته وبشاعته قرنه الله تعالى بالشرك وقتل النفس ، وأثنى على عباده في بُعدهم عن هذه القبائح الثلاث : الشرك والقتل والزنا ، وتوعد من فعل ذلك بالحصول على الإثم ومضاعفة العذاب ، فقال في سورة الفرقان : (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلَا يَزْنُونَ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً ، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً إِلَّا مَنْ تَابَ . . . . .) إلخ [3] .

إن جَريمَة الزنا تنافي هذه الصفة الحميدة ؛ لأن الزنا رذيلة تدنس عِرض صاحبها ، وعِرض من قارفها ومازجها ، ولذلك حرّم الله على المؤمن أن ينكح زانية ، وعلى المؤمنة أن تنكح زانياً ، إلا أن يتوبوا ، قال تعالى : (الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْمُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْمُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) [4] .

---

[1] سورة الإسراء : ٣٢ .

[2] فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني : ٢٦٥/٣ لناشر: دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب ، دمشق ،بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ .

[3] سورة الفرقان : ٦٨ – ٦٩ .

[4] سورة النور : ٣ .

فحرم الله الزنا لما فيه من الشر العظيم ، وفيه من قلة الغيرة ، وإلحاق الأولاد الذين ليسوا من الزوج ، وكون الزاني لا يعفها بسبب اشتغاله بغيرها ، وبعض هذا كاف في التحريم ، وقد نفى الله الإيمان عن الزاني في قوله تعالى : (وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) أي : حرم نكاح الزاني والزانية ، فلو كان مؤمناً بالله حقاً لم يقدم على ذلك ، وفي هذا دليل على أن الزاني ليس مؤمناً حقاً .

ويؤيد هذا الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن "[1] ، فالزاني وإن لم يكن مشركاً ، لكنه لا يطلق عليه اسم المدح الذي هو الإيمان المطلق . والزنا من أعظم الذنوب وأفحشها فهو من الكبائر العظيمة .

وقد عالج الإسلام نزعة حب الزنا ، والتطلع إليه بتصور الإنسان المتطلع إليه لكراهته للزنا لو وقع على إحدى محارمه ، فعن أبي أمامة رضي الله عنه : أن فتىً شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ! ائذن لي بالزنا ، فأقبل القوم عليه فزجروه ، وقالوا : مه مه ، فقال : أُدنه ، فدنا منه قريباً ، فقال : اجلس ، فجلس فقال : أتُحبّه لأمك ، قال : لا والله – جعلني الله فداك – ، قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم ، قال : أفتحبه لابنتك ؟ قال : لا والله يا رسول الله – جعلني الله فداك – ، قال : ولا الناس يحبونه لبناتهم ، قال : أفتحبه لأختك ؟ قال : لا والله – جعلني الله فداك – ، قال : ولا الناس يحبونه لأخواتهم ، قال : أفتحبه لعمتك ، قال : لا والله – جعلني الله فداك – قال : ولا الناس يحبونه لعماتهم ، قال : أفتحبه لخالتك ؟ قال : لا والله – جعلني الله فداك – ، قال : ولا الناس يحبونه لخالاتهم ، قال : فوضع يده عليه وقال : اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وأحصن فرجه ، قال : فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيئ[2] .

لقد اضطر بالصحابة عند سماع الاستئذان في الزنا من الشاب فزجروه : " مه . . مه " ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم عالجه بحكمة بالغة ، وذلك ببيان مفاسد مطلبه ، وسوء عواقبه ، وفي هذا إرشاد للمعلمين والمربين والدعاة باللطف بالجاهل قبل التعليم ، فذلك أنفع له من التشديد

---

[1] صحيح البخاري : ١٦٤/٨ ، الناشر : دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة الأولى ،١٤٢٢هـ .

[2] مسند أحمد ، والطبراني .

والتعنيف ، ثم لا وجه للتعنيف لمن لا يعلم ، فالإقناع برفق وحكمة هو الباب الصحيح لصرف العقول والقلوب عن المخالفات ، ولم ينظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك الشاب على أنه فقد الحياء والخير ، بل فهم فهماً دقيقاً حقيقة ما بداخل قلبه من شهوة عارمة ، فتعامل معه صلى الله عليه وسلم بمنطق الإقناع العقلي مع الحبّ والشفقة ، فأثابه إلى رشده ، وأرجعه إلى طريق العفة والاستقامة ، حتى أصبح رافضاً للرذيلة ، كارهاً لها .

حفظ الفروج وقاية صحية وصيانة عرضية :

لقد جاء في باب العقوبات في سنن ابن ماجه ، حديث مرفوع بسنده إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : حدثنا محمود بن خالد الدمشقي حدثنا سليمان بن عبد الرحمن أبو أيوب عن ابن أبي مالك عن أبيه عن عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن عمر قال أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " يا معشر المهاجرين ! خمس إذا ابتليتم بهن ، وأعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة في قوم قط ، حتى يعلنوا بها ، إلا فشا فيهم الطاعون ، والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ، ولم ينقصوا المكيال والميزان ، إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة ، وجور السلطان عليهم ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم ، إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله ، وعهد رسوله ، إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم ، فأخذوا بعض ما في أيديهم ، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ، ويتخيروا مما أنزل الله ، إلا جعل الله بأسهم بينهم " [1] .

ومن هذا الحديث ندرك إدراكاً تاماً ما قاله الدكتور عريفي حرب عن " الإيدز " بأنه طاعون القرن [2] ، وقد وفق الله طبيبة علمانية متخصصة في أمراض النساء للإسلام ، لما وجدت في تعاليم الإسلام ، من حفظ نساء المسلمين لفروجهن ، ورجالهم أيضاً كما دلت عليه الآية السابقة من سورة المؤمنون ، كما أن الله سبحانه قد جاء أمره الكريم

---

[1] سنن ابن ماجه لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، وماجه اسم أبيه يزيد (المتوفى : ٢٧٣هـ) : ١٣٣٢/٢ ، رقم الحديث : ٤٠١٩ ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر : دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابي الحلبي .

[2] مجلة البعث الإسلامي ، المجلد الحادي والخمسون ٥١ ، العدد الثالث : ذو القعدة ١٤٢٦هـ ، ديسمبر ٢٠٠٥م ، الصفحة : ٣٦ .

للمؤمنين والمؤمنات ، بحفظ الفروج أكثر من خمس مرات : تأكيداً بعد تأكيد ، لما في العفة من الفضيلة ، ووقاية النفس والبشرية ، بل المجتمعات كلها ، من آفات الانحلال والفساد الخلقي ، حيث توضح ذلك قصة هذه المرأة الألمانية ، التي دخلت الإسلام ، وأحبته عن قناعة ، وهذه الواقعة أوردها الدكتور أحمد الصويان في مجلة " البيان " [1] .

الخاتمة :

إن في آيات غض البصر وحفظ الفروج في القرآن الكريم وقاراً للمسلمين والمسلمات ، وعفة وحماية ، ووقاءً صحّياً من جميع الأمراض الجنسية مما ظهر وبطن ، وبُعداً عن تجرّؤ من في قلبه مرض : (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ من وَرَآءِ حجَابٍ ذٰلِكُمْ أَطْهَرُ لقُلُوبكُمْ وَقُلُوبهِنَّ) [2] إنه شرع الله العالم بما يصلح المجتمعات ، ومواطنَ الخلل ومنابعَه ، فمنع الأعداء أن يدخلوا من هذا الفساد .

هذا هو الإسلام والتوجيه النبوي الّذي يتدخّل في القلوب وأعماقها وجذورها فيؤثّر فيها تأثيراً عميقاً حتّى يتخلّص الإنسان من جميع الجرائم الشديدة والمآثم القبيحة والمعاصي السيئة ، فيتكوّن المجتمع مجتمعاً صالحاً قوياً أميناً مؤتمناً ، يقوم أساسه على الإيمان بالله ورسله واليوم الآخر ، فهذا هو المجتمع الذي ربّاه الله تعالى في القرون الأولى عن طريق النّبي صلى الله عليه وسلم تربية جليلة لا يكاد ينساها التاريخ الإنساني ، ما دامت السماوات والأرض .

مما ينبغي على العلماء أن ينشروا هذه التوجيهات النبوية القيمة عن صدد حفظ الفروج ومفاسد ضدّه – الزنا واللواطة وغيرهما – الخبيثة الوخيمة من خلال الأحاديث النبوية على صاحبها ألف ألف تحية وسلام إلى آفاق العالم شرقاً وغرباً ، شمالاً وجنوباً ، ويدعوا الإنسانية العالمية والبشرية العامة جمعاء إلى التحلي بهذه الخصلة الحميدة – حفظ الفروج – والتجنب عن الجرائم الخبيثة ، حتى يسعد العالم الإنساني كله بحياة مطمئنة راضية مرضية . فالله المستعان ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

[1] مجلة " البيان " في مقالة للدكتور أحمد الصوبان ، نقلاً عن مجلة البعث الإسلامي، المجلد الحادي والخمسون ٥١ ، العدد الثالث : ذو القعدة ١٤٢٦هـ ، ديسمبر ٢٠٠٥م ، الصفحة : ٣٦ – ٣٧ .

[2] سورة الأحزاب : ٥٣ .

قضايا مستجدة حول نفقة المطلقة

(الحلقة الثانية)

د . المفتي محمد مصطفى عبد القدوس الندوي *

ومن جهة أخرى أن الناشزة إذا خرجت من بيت زوجها لا تستحق النفقة مع بقاء الزوجية ؛ لعدم تسليم نفسها في بيت الزوج ، ومتى عادت إلى بيته استحقت النفقة ، فثبت أن المعنى الذي تستحق به النفقة والسكنى هو تسليم نفسها في بيت الزوج . فلما اتفقنا ومن أوجب السكنى فقط دون النفقة ، على وجوب السكنى وصارت بها مسلمة لنفسها في بيت زوجها ، وجب أن تستحق النفقة . وأيضاً لما اتفق الجميع على أن المطلقة الرجعية تستحق النفقة في العدة وجب أن تستحق المبتوتة أيضاً ، بسبب علة مشتركة بينهما ، وهي كونها معتدة عن طلاق [1] .

ولأنها محبوسة عليه [2] ، فلما كانت لها السكنى فأصبحت محبوسة عليه فلابدّ أن تكون لها النفقة أيضاً ؛ لأنها كيف تعيش وتعتد بدونها عنده ؟ قال ملك العلماء العلامة الكاساني : " وَلِأَنَّ الْأَمْرَ بِالْإِسْكَانِ أَمْرٌ بِالْإِنْفَاقِ ؛ لِأَنَّهَا إذَا كَانَتْ مَحْبُوسَةً مَمْنُوعَةً عَنْ الْخُرُوجِ لا تَقْدِرُ عَلَى اكْتِسَابِ النَّفَقَةِ فَلَوْ لَمْ تَكُنْ نَفَقَتُهَا عَلَى الزَّوْجِ وَلا مَالَ لَهَا لَهَلَكَتْ ، أَوْ ضَاقَ الْأَمْرُ عَلَيْهَا وَعَسُرَ ، وَهَذَا لا يَجُوزُ وقَوْله تَعَالَى : (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِه وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْه رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ) [الطلاق : ٧] مِنْ غَيْرِ فَصْلٍ بَيْنَ مَا قَبْلَ الطَّلاقِ وَبَعْدَهُ فِي الْعِدَّةِ ، وَلِأَنَّ النَّفَقَةَ إنَّمَا وَجَبَتْ قَبْلَ الطَّلاقِ لِكَوْنِهَا مَحْبُوسَةً عَنْ الْخُرُوجِ وَالْبُرُوزِ لِحَقِّ الزَّوْجِ ، وَقَدْ بَقِيَ ذَلِكَ الاحْتِبَاسُ بَعْدَ الطَّلاقِ فِي حَالَةِ الْعِدَّةِ وَتَأَبَّدَ بِانْضِمَامِ حَقِّ الشَّرْعِ إلَيْهِ ؛ لِأَنَّ الْحَبْسَ قَبْلَ الطَّلاقِ كَانَ حَقّاً لِلزَّوْجِ عَلَى الْخُلُوصِ وَبَعْدَ الطَّلاقِ تَعَلَّقَ بِهِ حَقُّ الشَّرْعِ حَتَّى لا يُبَاحَ لَهَا الْخُرُوجُ ، وَإِنْ أَذِنَ الزَّوْجُ لَهَا بِالْخُرُوجِ فَلِمَا وَجَبَتْ بِهِ النَّفَقَةُ قَبْلَ التَّأَكُّدِ فَلَأَنْ تَجِبَ بَعْدَ التَّأَكُّدِ أَوْلَى " [3] .

---

* عميد كلية البحث والتحقيق بجامعة العلوم ، غرها – غجرات .

[1] راجع : أحكام القرآن للجصاص : ٦١٥/٣ .

[2] مرقاة المفاتيح ، باب العدة : ٤٤٤/٦ .

[3] بدائع الصنائع : ٢١٠/٣ .

(١،١) نظرة على حديث فاطمة رضي الله عنها :

وأما حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها فأنكر عليها عمر ابن الخطاب وعائشة رضي الله عنهما على وجه الخصوص من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم [١] . ومن الأصول أن إنكار الصحابة رضي الله عنهم على راوي الحديث يوجب الطعن فيه [٢] . قال أبو بكر الجصاص : " لو لا علموا خلافه من السنة ومن ظاهر الكتاب لما أنكروه عليها ، وقد استفاض خبر فاطمة رضي الله عنها في الصحابة ، فلم يعمل به منهم أحد إلا شيئاً " [٣] ؛ فلا ينبغي أن يستدل بهذا الحديث على عدم وجوب النفقة والسكنى للمبتوتة . ثم هذا الحديث يعارض كتاب الله أيضاً ، كما سبق تقريره وطريقة الاستدلال به على وجوبهما لها على زوجها مادامت في العدة .

ثم على ثبوت فاطمة بنت قيس رضي الله عنها يمكن تأويله وتعيين محمله ، بحيث لم يبق تعارض بينه وبين القرآن : أن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها كانت تطيل لسانها على أحمائها بالفحش فنقلها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت ابن أم مكتوم ولم يجعل لها نفقة ولا سكنى ؛ لأنها صارت كالناشزة إذ كان سبب الخروج عنها [٤] ، كما قال الإمام الشافعي : " لم يجعل لها النبي صلى الله عليه وسلم السكنى ؛ لما كانت تبذو على أهلها " [٥] ، وبهذا السبب صارت ناشزة فلم تستحق النفقة أيضاً كما يقول به الحنفية .

كذلك يُؤوَّل بأن أَبا عَمْرِو بْنَ حَفْصِ بْنِ الْمُغِيرَةِ رضي الله عنه زوج فاطمة بنت قيس رضي الله عنها قد أرسل إليها وكيله عَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ بالطلاق ومعه نفقة العدة بِخَمْسَةِ آصُعِ تَمْرٍ ، وَخَمْسَةِ آصُعِ شَعِيرٍ ، فإنها سخطته فردّتها ، فقال الوكيل : والله مالك علينا من شيئ ، أي : النفقة التي تريد منه وهو الأجود [٦] ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرت ذلك له صلى الله عليه وسلم فقال : " لَيْسَ لَكِ نَفَقَةٌ " [٧] ، أي : هذا المقدار للنفقة يكفي

---

[١] صحيح البخاري ، الطلاق ، بَابُ قِصَّةِ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ ، رقم : ٥٣٢٣ ، سنن الترمذي ، الطلاق ، باب في المطلقة ثلاثا لاَ سُكْنَى لَهَا وَلاَ نَفَقَةَ ، رقم : ١١٨٠ .

[٢] بدائع الصنائع : ٢١٠/٣ ، أحكام القرآن للجصاص : ٦١٥/٣ .

[٣] أحكام القرآن للجصاص : ٦١٥/٣ .

[٤] بدائع الصنائع : ٢١٠/٣ .

[٥] سنن الترمذي ، الطلاق ، باب في المطلقة ثلاثا لاَ سُكْنَى لَهَا وَلاَ نَفَقَةَ ، رقم : ١١٨٠ .

[٦] مرقاة المفاتيح : باب العدة : ٤٤٤/٦ .

[٧] أخرجه مسلم في الطلاق ، بَابُ الْمُطَلَّقَةِ ثَلاثاً لا نَفَقَةَ لَهَا ، برقم : ٤٨ – ١٤٨٠ .

لك ولا تستحق أكثر من ذلك أو أجود . قال العلامة رشيد الكنكوهي : " الاعتذار من الأحناف في حديث فاطمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما نفى الزيادة على أقفزة شعير وأقفزة تمر أعطاها زوجها لكنها فهمت نفي النفقة رأساً ؛ فعلمت وعملت وأفتت بحسبه " [1] .

فحاصل ذلك أن في الحقيقة نفي النفقة نفي الزائد الذي كانت تطلبها ، فإن أصل النفقة قد أعطيت كما جاء في الروايات ، وأصحها أنها أعطاها زوجها عشرة أصوع كما مر في صحيح مسلم [2] ؛ فكان المراد من عدم النفقة في الحديث : الفاضل والزائد على ما كان أعطاها زوجها .

(٢،١) نظرة على القول بتخصيص النفقة للحامل دون غيرها في الآية :

وقال القائلون بالسكنى للمبتوتة دون النفقة لها مستدلين بقوله تعالى : (فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) [الطلاق : ٦] .

وفي هذا الاستدلال – تخصيص النفقة لأولات الحمل – نظر ؛ لأن تخصيص الحامل بالذكر في إيجاب النفقة ليس كقيد احترازي ؛ بل للتأكيد والعناية البالغة بالإنفاق عليها نظراً إلى ما في بطنها ؛ لأنه إن لم ينفق عليها أو يضيّق الزوج في الإنفاق عليها ، فذلك يؤثر في ما في بطنها تأثيراً منفياً ويصيبه الضرر ، فوجب حفاظه عليها وعلى الزوج ، كما أوجب الله تعالى نفقة الرضيع وأمّها المطلقة على المولود له كي لا يهلك في قوله : (وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) [البقرة : ٢٢٣] .

وليس هناك دليل يدل على إيجاب النفقة للحامل في الآية قيداً احترازيّاً . قال المفسر الكبير العلامة أبو بكر الجصاص والعلامة الملا علي القاري : " وقد دخلت فيه المطلقة الرجعية – عليه الاتفاق – ولم يمنع نفي النفقة لغير الحامل ، فكذلك في المبتوتة ، وإنما ذكر الحامل واشتراطه بما أن مدة الحمل ربما تطول ، فيظن ظانّ أن النفقة تسقط إذا مضى مقدار عدة الحائل ، فنفى ذلك الوهم ؛ فأراد إعلامنا وجوب النفقة مع طول مدة الحمل التي هي في العدة أطول من مدة الحيض [3] .

(٢) وجوب نفقة المطلقة على الزوج السابق بعد انقضاء العدة :

واتضح مما سبق وثبت أن نفقة المطلقة تجب على الزوج ما دامت

---

[1] الكوكب الدري : ٢٦٤/٢ .

[2] راجع صحيح ابن حبان أيضاً ، رقم : ٤٢٥٤ .

[3] أحكام القرآن للجصاص : ٦١٥/٣ ، المرقاة : باب العدة : ٤٤٤/٦ .

في العدة ، سواء كانت رجعيةً أو بائنةً ، ثم كانت حاملاً أو غير حامل . وأما وجوب النفقة لها بعد انقضاء العدة المحدّدة لها شرعاً ، فلا تجب على الزوج السابق ، هذا مجمع عليه بين فقهاء الأمة والإسلام ، ولا أجد فيه خلافاً لأحد منهم . ثم المعقول أن النفقة منوطة بالعدة كما علم بالأدلة والبراهين السالفة ؛ فلا تجب النفقة بعد العدة على الزوج السابق ؛ لأنها تابعة للعدة [1] ، والتابع تابع للمتبوع ، وهو العدة هنا ، فلما مضت العدة ، فلم يبق المتبوع ، والتابع يسقط بسقوط المتبوع [2] .

وإن قال أحد بإيجاب النفقة للمطلقة على الزوج السابق بعد أن تنقضي عدتها المحددة شرعاً ، إلى أن تموت أو تنكح زوجاً آخر ، فلا عبرة بقوله عند وجود النص ؛ إذ لا عبرة بالقياس الذي هو يخالف النص ، وقد ذكره الفقهاء كقاعدة بهذا الخصوص : " لا عبرة بالقياس في مقابلة النص أو الإجماع بالاتفاق " [3] . وقال أحمد محمد عثمان الزرقاء المتوفى ١٣٥٧هـ : القاعدة الثالثة عشرة (المادة / ١٤) " لا مساغ للاجتهاد في مورد النص " [4] . وقال الدكتور محمد صدقي الغزي في شرح هذه القاعدة : " لا يجوز الاجتهاد باستعمال الرأي والقياس لإيجاد حكم لمسألة ما قد ورد فيها نص شرعي من كتاب أو سنة أو إجماع صحيح " [5] ، ويؤيد تلك القاعدة قوله تعالى : (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) [الأحزاب : ٣٦] ، وحديث مُعَاذٍ حين بعثه رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى اليَمَنِ ، فَقَالَ : " كَيْفَ تَقْضِي ؟ " ، فَقَالَ : أَقْضِي بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ ، قَالَ : " فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِ اللَّهِ ؟ " ، قَالَ : فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ " ، قَالَ : أَجْتَهِدُ رَأْيِي ، قَالَ : " الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِما يُرضي رسولَ اللّه " [6] .

---

[1] رد المحتار : ٣٣٣/٥ .

[2] الأشباه والنظائر لابن نجيم المصري : ١٢٠/١ .

[3] شرح التلويح على التوضيح للتفتازاني المتوفى ٧٩٣هـ : ١٦٣/٢ .

[4] شرح القواعد الفقهية ، ص ١٤٧ ، راجع أيضاً : المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسن البصري : ١٧٥/٢ ، كشف الأسرار للبخاري الحنفي : ٦٦/٣ .

[5] الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية : ٣٨٣/١ .

[6] أخرجه أبو داود في الأقضية ، باب اجتهاد الرأي في القضاء ، برقم : ٣٥٩٢ ،

والترمذي في الأحكام ، باب في القاضي كيف ، برقم : ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الوَجْهِ وَلَيْسَ إِسْنَادُهُ عِنْدِي بِمُتَّصِلٍ . قال البخاري في تاريخه : الحارث بن عمرو عن أصحاب معاذ ، وعنه أبو عون لا يصح ، ولا يعرف إلا بهذا (نصب الراية للزيلعي : ٦٣/٤ ، التلخيص الحبير للحافظ ابن حجر : ٣٣٧/٤ ، ط : قرطبة – مصر) . وقال ابن الجوزي في " العلل المتناهية (٢٧٣/٢) " : هذا الحديث لا يصح . . . إنما ثبوته لا يعرف ؛ لأن الحارث بن عمرو مجهول ، وأصحاب معاذ من أهل حمص لا يُعرفون " . وقال ابن الملقن : ضعيف بإجماع أهل النقل (البدر المنير : ٥٣٤/٩) . وقال الحافظ ابن حجر : وقد أخرجه الخطيب في كتاب الفقيه والمتفقه من رواية عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل ، فلو كان الإسناد إلى عبد الرحمن ثابتاً ، لكان كافياً في صحة الحديث " (التلخيص الحبير للحافظ ابن حجر : ٣٣٧/٤ ، ط : قرطبة – مصر) . وقد تحدث أبو بكر ابن العربي في شرح الترمذي مفصلاً ورجح صحته (حاشية على جامع الأصول : ١٧٧/١٠) ، وصححه ابن القيم (إعلام الموقعين : ١٥٥/١) ، وأطلق جماعة من الفقهاء ، كالباقلاني ، وأبي الطيب وإمام الحرمين ، لشهرته وتلقي العلماء له بالقبول ، وله شاهد صحيح الإسناد لكنه موقوف (تخريج المختصر لابن حجر : ١١٩/١) . وممن صححه من المتأخرين العلامة زاهد الكوثري في مقالاته (حاشية على جامع الأصول : ١٧٧/١) .

وقد قال غير واحد من أئمة النقد في الجرح والتعديل : هذا الحديث لا يثبت ولا يصح من جهة الإسناد ؛ لأن الراوي " الحارث بن عمرو " مجهول ، فيكفي لتعريفه وتعديله رواية شعبة عنه ؛ لأن بعض أئمة الحديث قالوا : " إذا رأيت شعبة في إسناد حديث فاشدد يديك به " (إعلام الموقعين لابن القيم : ١٥٥/١) . ثم شعبة لا يكاد يروي إلا عن ثقة (المتكلمون في الرجل للسخاوي ، ص ٨٨) . ومن كان مثل هذا من أئمة الحديث يُفهم منه توثيق ضمني ممن روى عنه ، كما جزم به الأصوليون ، كالآمدي وابن الحاجب وغيرهما (راجع : لسان الميزان : ١٥/١ ، وسير أعلام النبلاء : ٨٧/١٤ ، وفتح المغيث : ٣١٤/١ ، وتدريب الراوي : ٢٨٩/١) ، كما يُفهم من صنيع الشيخين في صحيحهما في حق الرواة المجهولين الذين أخرجا لهم الأحاديث فيهما ، ولم ينص على توثيقهم أحد من أئمة الجرح والتعديل الآخرين (راجع : ميزان الاعتدال : ٥٥٦/١ ، ٤٢٦/٣) .

وأما قولهم : " أصحاب معاذ من أهل حمص لا يُعرفون " ، فذلك لا يضر الحديث ؛ لأنه يدل على شهرة الحديث ، وأن الذي حدّث به الحارث بن عمرو عن جماعة من أصحاب معاذ لا واحد منهم ، وهذا أبلغ في الشهرة من أن يكون عن واحد منهم لو سُمّي ، كيف وشهرة أصحاب معاذ بالعلم والدين والفضل والصدق بالمحل الذي لا يخفى ؟ ولا يُعرف في أصحابه متهم ولا كذاب ولا مجروح ؛ بل أصحابه من أفاضل المسلمين وخيارهم ، لا يشك أهل العلم بالنقل في ذلك (إعلام الموقعين : ١٥٥/١) قال أبو بكر ابن العربي : لا يعد أحد من أصحاب معاذ مجهولاً ، ويجوز أن يكون في الخبر إسقاط الأسماء عن جماعة ، ولا يدخله ذلك في حيز الجهالة ، إنما يدخل في المجهولات إذا كان واحداً ، فيقال : حدثني رجل ، حدثني إنسان ، ولا يكون

ثم لا شك أن المطلقة التي مضت عدتها ، لها مشاكل متنوعة تحتاج إلى تقديم حلولها ، وهي تواجه الأضرار والمشاق المتختلفة تمس الحاجة إلى إزالتها ، هذا أمر مسلّم ، ولكن لإزالتها نظاماً مقرراً في الإسلام ، والإسلام لم يقرر لإزالتها أن تلقى مؤونة نفقتها على الزوج السابق ما دامت حيّة أو إلى أن تنكح زوجاً غيره ، وهذا من قبل إضرار الزوج .

(للحديث صلة)

الرجل للرجل صاحباً حتى يكون له به اختصاص ، فكيف وقد زيد تعريفاً بهم أن أضيفوا إلى بلد ، – وهو حمص – وقد خرج البخاري الذي شرط الصحة في حديث عروة البارقي : سمعت الحي يتحدثون عن عروة ولم يكن ذلك الحديث في جملة المجهولات (عبد القادر الأرنؤوط : حاشية على جامع الأصول : ١٠/١٧٧) .

قال أبو بكر الخطيب : وقيل : إن عبادة بن نُسيّ رواه عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ ، وهذا الإسناد متصل ، ورجاله معروفون بالثقة ، على أن أهل العلم قد نقلوه واحتجوا به ، فوقفنا بذلك على صحته عندهم ، كما وقفنا على صحة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا وصية لوارث " . . . وإن كانت هذه الأحاديث لا تثبت من جهة الإسناد ، ولكن لما تلقتها الكافة عن الكافة غنوا بصحتها عندهم عن طلب الإسناد لها ، فكذلك حديث معاذٍ لما احتجوا به جميعاً غنوا عن طلب الإسناد له (إعلام الموقعين : ١/١١٥ ، الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي : ١/١٨٩ – ١٩٠ ، التلخيص الحبير لابن الحجر : ٤/٤٤٧) .

والفقهاء يعتبرون صحة الحديث إذا لم يكن في سنده كذاب بموافقة آية من كتاب الله أو بعض أصول الشريعة (تدريب الراوي للسيوطي : ١/٤٨) . ومن المعلوم أن حديث معاذ رضي الله عنه لم يكن فيه أحد من رواته كذاباً ، ولا متّهما بالكذب بل لا مجروحاً كما علم آنفاً ، ومعناه لا يخالف كتاب الله ولا سنة رسوله الأخرى ولا أصول الشريعة ؛ بل يوافقها حقيقةً ، كما نص عليه ابن الجوزي بقوله : " إن كان معناه صحيحاً " (العلل المتناهية : ٢/٢٧٣) . وبهذا الاعتبار أيضاً حديث معاذ رضي الله عنه مقبول يعمل به .

ثم حديث معاذ رضي الله عنه مؤيد بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقريره وآثار الصحابة رضي الله عنهم والتابعين ومن بعده من الأئمة المجتهدين ، فكلهم اجتهدوا وقاسوا ، وعلى رأسهم جماعة من الصحابة منهم : أبوبكر الصديق، وعمر بن الخطاب ، وعلى بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وابن عباس ، ومعاذ ، وأبو موسي الأشعري رضي الله عنهم وعائشة رضي الله عنها (راجع : السنن الكبرى : ١٠/١٩٦ ، ١٩٧ ، ونصب الراية : ٤/٦٤) . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كتاب الله إلى أبي موسي الأشعري رضي الله عنه : " الْفَهْمَ الْفَهْمَ فِيمَا يُخْتَلَجُ فِي صَدْرِكَ مِمَّا لَمْ يَبْلُغْكَ فِي الْكِتَابِ أَوِ السُّنَّةِ " (أخرجه الدارقطني في سننه في الأقضية والأحكام ، برقم : ٤٤٧١ ، والبيهقي في السنن الكبرى في آداب القاضي ، برقم : ٢٠٣٤٧) .

النظر المقاصدي في السيرة النبوية الشريفة

أ . د . رشيد كُهُوس*

تقديم :

لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تظل السيرة النبوية العطرة مجرد جزء من التاريخ ، ذلك بأن الأمة المسلمة اليوم في أشد حاجة إلى معرفة المنهج النبوي في إصلاح النفس وصناعة الإنسان وبناء المجتمع والدولة والعمران ، والذي تكشفه لنا سيرةُ سيدِنا رسولِ اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، للتأسي به في جوانب الحياة الإنسانية كلِها ، وإن تحقيق هذا مرتبط بإعادة قراءة النص السيري قراءة مقاصدية ، والوعي بها ، وتجديدِ فهمها ، بما يتوافق مع قضايا العصر ويؤكد خلود السيرة النبوية وصلاح تنزيلها في كل الأجيال .

وإن تفاصيل السيرة النبوية الغراء في حقيقتها عبارةٌ عن منهاج المقاصد ، إذ هي الوعاء الذي استوعب المقاصد قولاً وفعلاً ، وتنظيراً وتنزيلاً ، تتجاوز حدود الزمان والمكان ، لتجيب عن أسئلة كل عصر وتحل مشكلاته ونوازله ، ذلك بأن المشاهد السيرية ليست قوالب جامدة ، ولم تكن خاصة بعصر النبوة فقط ، بل هي استوعبت كلَّ مجالات الحياة الإنسانية ، والحالات التي ستمر بها المجتمعات البشرية ، لأنها مصدرُ الأسوة والقدوة لجميع الناس في سائر العصور .

ذلك بأنها تحمل في تفاصيلها وكلياتها منهاج حياة رسولٍ ونبي أنقذ البشرية جمعاء وأخرجها من الظلمات إلى النور ، تجسدت فيها تعاليم الإسلام وأحكامه وعقائده وتشريعاته وأخلاقه ، بصورة كاملة عملية ، فكانت للمسلمين نوراً يستضيئون بها ، وهادياً لهم في سبل الحياة وظلماتها .

من أجل ذلك أحبت الأمة رسالته صلى اللّه عليه وسلم الخالدة ، وتعلقت بسيرته الطاهرة ، وشخصه العظيم ؛ وسجلت أوصافه وأخلاقه وشمائله ، واعتنت بأيامه ومشاهده ، ذلك بأن سيرته الخالدة تمثل مرحلة

* أستاذ التعليم العالي ورئيس شعبة أصول الدين وتاريخ الأديان – كلية أصول الدين بتطوان – جامعة عبد المالك السعدي – المغرب .

تشريعٍ بالنسبة للبشرية جمعاء ، بل إنها مرحلة ميلاد الإنسان من جديد .

وعلى الرغم من المؤلفات السيرية الكثيرة قديماً وحديثاً ، رغم رصانتها وجدتها ، إلا أن أغلبها قد اتسم بالمنهج السردي والقراءة الحرفية والنظرة التجزيئية لنصوص السيرة ومشاهدها ، قراءة اقتصرت على جوانب دون أخرى ، الأمر الذي نتجت عنه تأويلات فاسدة تقصر عن إدراك روح الوحي ومقاصد الشرع التي تجلت في تفاصيل السيرة الغراء .

في حين أن في السيرة النبوية العطرة ثروة زاخرة يمكن استثمارها في إعادة تشكيل منهج التفكير والعمل لدى المسلم ، والعودةِ بالأمة إلى وظيفة الشهادة وقيم الخيرية والوسطية والعالمية ، والنهوض بأمانة الاستخلاف في الأرض .

والحاصل أن الأمة اليوم في أمس حاجة إلى النظر المقاصدي في الاستمداد من السيرة النبوية العطرة . فالنظر المقاصدي في الاستمداد السيري إنما استدعته مقتضيات تحقيق خلودها والامتداد بهداياتها ، وبسطها على جميع جوانب الحياة والتدليل على رعايتها لمصالح العباد ، وتخليص الفهم والفقه وعلى الأخص في عصور التقليد والجمود والركود العقلي من النظرة الجزئية والصورة الآلية المجردة البعيدة عن فقه الواقع ، حيث انتهى الأمر إلى قواعد مجردة وقوالب بعيدة عن الارتباط بالغايات الأصلية التي قد تكون انتهى إليها ، إلى درجة قد تفوت المصلحة ، وإعادة توجيهه صوب تحقيق مصالح العباد في معاشهم ومعادهم ، وهي الغاية التي من أجلها جاءت الشريعة وبعث سيد الخليقة وكانت الرسالة ، ومعالجة مشكلات المجتمع والتعامل مع قضاياه وحاجاته [1] .

(١) السيرة النبوية تعبير واقعي عملي عن مقاصد الشريعة :

إن السيرة النبوية جسدت في حقيقتها صورة الإسلام الحية ، ومقاصده العامة والخاصة ، وانطوت على أرقى المقاصد وأكبرها ، وأعلى المصالح وأعظمها ، فمنها استفيدت العديد من الخصائص العملية العامة للإسلام المتصلة بالمقاصد الشرعية ، على نحو خاصية التيسير والتخفيف ورفع الحرج ، والوسطية والاعتدال ، والعدل والرحمة ، واللين والواقعية وغير ذلك من الخصائص الكلية والسمات العامة . . . ومن ثم كانت مفتاحاً لفهم صناعة الحياة الإنسانية والنهضة الإسلامية منذ

[1] الاجتهاد المقاصدي ، نور الدين الخادمي ، تقديم : عمر عبيد حسنة ، كتاب الأمة ، عدد : ٦٥ – ٦٦ ، قطر ، ط١ ، ١٩٩٨م ، ٣٥/١ .

أكثر من خمسة عشرة قرناً ، فلماذا لا تكون مفتاحا لفهم الحاضر ، وإصلاح الواقع وإبصار المستقبل من أجل إعادة الأمة إلى موقعها الحضاري .

لقد تجلت مقاصد الشريعة في السيرة النبوية تجلياً عملياً ، ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم هو المبعوث بهذه الشريعة الغراء الخاتمة ، والمبلّغ لأحكامها ، والمعرِّف بمقاصدها ، ولما كانت مقاصد الشريعة هي المقاصد التي قررها الوحي القرآني ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قرآناً يمشي على الأرض كما وصفته أم المؤمنين السيدة عائشة الصديقية رضي الله عنها ، فقد تجلت هذه المقاصد في أيامه الخالدة ، وحياته اليومية ، وتصرفاته المسددة بالوحي ، إذ من خلال النظر في سيرته الغراء ومنهاجه العملي يتضح لنا بجلاء البعد المقاصدي الذي اصطبغت به سيرته الغراء وسائر تصرفاته الشريفة وأحواله المنيفة وأيامه الخالدة .

لقد حافظت سيرة خير الأنام عليه الصلاة والسلام على مقاصد الشريعة ، وسعت إلى تحصيل مصالح العباد في العاجل والآجل ؛ ومن ثمة كانت في سائر مراحلها وأحوالها ومشاهدها تهدف إلى حفظ مصالح الناس الضرورية فالحاجية ثم التحسينية ، حيث يتم في هذه المستويات الثلاثة الحفاظ على الأصول الكلية الخمسة الممثلة في : الدين والنفس والعقل والنسل أو العرض والمال .

فمن أجل حفظ الدين سخر النبي صلى الله عليه وسلم حياته كلّها لحفظ هذا الدين الذي بعث من أجل تبليغه ، حيث اتخذ دار الأرقم ابن أبي الأرقم بمكة المكرمة مركزاً لتلقين الوحي وتصحيح العقيدة وترسيخ مبادئ الدين في النفوس ، كما اتخذ مسجد المدينة المنورة محضناً للتزكية وتعليم أمور الدين ، كما كانت مشاهده كلّها من أجل إقامة الدين ومن أجل أن يعبد الله تعالى في الأرض .

أما حفظ النفس فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على إحياء النفوس ، مشدداً الوعيد لكل من يعتدي على نفوس الآخرين ظلماً وعدواناً ، حاثاً على كل ما ينفع النفس الإنسانية في الدنيا ويقيها عذاب جهنم في الآخرة .

ولقد أحيا نفوس الخلق ببعثته الغراء ، وأخرجها من عبودية الخلق إلى عبودية الخالق ، ومن ظلمات الجاهلية إلى أنوار الهداية الإيمانية ، وما تدرجه في الدعوة وغزواته وسراياه وبعوثه إلا من أجل الحفاظ على النفوس وإنقاذها من براثين العبودية لغير الله .

ومن أجل حفظ العقل فقد حرر النبي صلى الله عليه وسلم العقول

من أوهام الجاهلية وخرافاتها ، ونهى عن كل ما يضر بها ، ورباها على النظر والتدبر في ملكوت السماوات والأرض ، وحثها على العلم ، وحببها في قراءة الكون البديع لتوحيد الله تعالى ، ولتسخير ما بثه الله تعالى في هذا الكون من أجل مصلحة الإنسان .

وفي حفظ النسل أو العرض : فقد كان يحث أصحابه وأمته جمعاء على الزواج ، ويساعد الشباب عليه ، وينهى عن الفواحش والاعتداء على الأعراض ، وعن كل مدنسات الشرف ، كما كان ينزل العقوبة بكل من يعتدي على العرض أو النسل .

أما عن حفظ المال : فقد قال في خطبته يوم حجة الوداع والبلاغ : " إِنَّ دِمَاءَكُمْ ، وَأَمْوَالَكُمْ ، وَأَعْرَاضَكُمْ ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا " [1] ، " لَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ " [2] ، فبحماية هذا المقصد هيأ صلى الله عليه وسلم عناصر التماسك والاستقرار ، وهو ما يكفل للناس الأمن الاجتماعي واحترام حقوق الآخرين .

(٢) السيرة النبوية أنموذج لتحصيل مصالح العباد في الدارين :

لم تكن وظيفة الرسل مع أقوامهم إلا تحقيقاً لمصالح الخلق في المعاش والمعاد ، وبناءً لقيم الصلاح ، ومكافحة ودرءًا واجتثاثاً للفساد ، إذ الأصل في المنهاج النبوي العملي : الرحمة بالخلق ، وهدايتهم ، والتواصل معهم بالمعروف ، والعدل بينهم ؛ وإشاعة قيم التعارف والأخوة والسماحة والعفو ، والبر والقسط بينهم ، وحفظ الأمانة والعهود معهم ، والإحسان لهم في القول والفعل . . . ، وغير ذلك مما اشتملت عليه منظومة القيم والأخلاق النبوية التي هي جوهر الرسالة السماوية وروحها ، فصاحب الرسالة الغراء صلى الله عليه وسلم يقول : " إنما بُعِثت لأتمم صالح الأخلاق " [3] ، وفي رواية : " مكارم الأخلاق " [4] .

هذا ، ولما كانت الشريعة موضوعة لأجل تحقيق مصالح الناس في الدنيا والآخرة ، وأن حفظ تلك المصالح يتدرج في ثلاث مراتب ؛ فإن

---

[1] صحيح البخاري ، كتاب العلم ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم : " رُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ " ، ح ٣٧ .

[2] سنن الترمذي ، أبواب تفسير القرآن ، بَابٌ : وَمِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ ، ح ٣٠٨٧ .

[3] مسند أحمد بن حنبل ، ٥١٣/١٤ .

[4] مسند البزار ، ٣٦٤/١٥ .

النبي صلى الله عليه وسلم في سائر تصرفاته الشريفة ومشاهده الخالدة وأحواله المنيفة كان حريصاً على مراعاة قصدِ الشارع إلى تحصيل تلك المصالح بما يضمن الحفاظ على الكليات الخمس وما يتصل بها أو يلحق بها من مقاصد ومصالح وقيم ، فقد بُعث صلى الله عليه وسلم ميسراً ، وكان منهاجه منهاج التيسير ورفع الحرج وعدم التكليف بالمشاق ، كما أخرج المكلفين عن داعية أهوائهم إلى الالتزام بأحكام الشرع وتوجيهاته وموافقه مقصوده .

وفضلاً عن ذلك فإن السيرة النبوية مدارها على جلب المصالح ودفع المفاسد ، وتقديم المصلحة العامة على الخاصة ، فقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم جزءاً من ثمار المدينة لقبيلة غطفان ، مقابل انصرافهم عن حلفهم الذي عقدوه مع الأحزاب ، وهذا نوع من تفكيك للأحزاب وتشتيت شملهم ، وغطفان كبيرة ومتفرعة ، وقد شاركوا يوم الأحزاب بستة آلاف مقاتل .

ومن ثم فإن رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هي رسالة خير ورحمة وحفظ لمصالح الخليقة كلها ، فلا يكون منها للناس جميعاً إلا الخير والرحمة ، حتى لأولئك المشركين الذين تصدوا للرسالة وأعنتوا صاحبَها ، حيث لم يأخذهم اللهُ بما أخذ به الأممَ السابقة الذين تحدّوا رُسلَ الله ، وكفروا بهم ، وبما يدعونهم إليه .

لقد بعث الله رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم بالرحمة على فترة من الرسل ؛ لإنقاذ الناس من الأوهام التي أُرْكِسُواْ فيها ، وصاروا بها في عمياء لا يدركون معها حقاً من باطل ، وأنهم كانوا يتسافكون الدماء ، وقد أكلت العداوة كلّ معاني الخير في فطرهم ، واشتفت كلّ ينابيع المودة في صدورهم ، وكان صلى الله عليه وآله سلم رحمةً بلسانه وعمله وإقراره حتى ترك الناسَ على المحجة البيضاء التي ليلها كنهارها .

ومن ثم فإن المستقرئ للسيرة النبوية الغراء يتضح له جلياً أن جميع ما جاءت به الرسالة المحمدية ، وجميع ما اشتملت عليه من عبادات ومعاملات ، وآداب وأخلاق ، وحقوق وواجبات كان مبنياً على أساس حفظ مصالح الخلق في الأولى والآخرة .

(٣) النظر النبوي إلى المآلات :

لقد راعى النبي صلى الله عليه وسلم ما قد يؤول إليه الأمر في جميع تصرفاته وتصرفات أصحابه ، فقد سألت عائشة رضي الله عنها

النبيَّ صلى الله عليه وسلم عَنْ الجَدْرِ أَمِنَ البَيْتِ هُوَ ؟ قَالَ : " نَعَمْ ، قُلْتُ : فَمَا لَهُمْ لَمْ يُدْخِلُوهُ فِي البَيْتِ ؟ قَالَ : إِنَّ قَوْمَكِ قَصَّرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ ، قُلْتُ : فَمَا شَأْنُ بَابِهِ مُرْتَفِعًا ؟ قَالَ : فَعَلَ ذَلِكَ قَوْمُكِ ، لِيُدْخِلُوا مَنْ شَاءُوا وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاءُوا ، وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ ، فَأَخَافُ أَنْ تُنْكِرَ قُلُوبُهُمْ أَنْ أُدْخِلَ الجَدْرَ فِي البَيْتِ ، وَأَنْ أُلْصِقَ بَابَهُ بِالأَرْضِ " [1] .

فترك النبي صلى الله عليه وسلم لإعادة الكعبة على قواعد إبراهيم كان مراعاة لحال أهل مكة ، وقرب عهدهم بالإسلام ، فخشي أن يصيبهم بسبب ذلك نفور ووحشة وريبة تضرّ بدينهم ، نظراً لما تمكّن في قلوبهم من تعظيم بيت الله ، وما نشأوا عليه من رؤية البيت على هذا الحال، فمراعاة لهذا المآل ترك النبي صلى الله عليه وسلم ما كان أكمل .

قال الإمام النووي رحمه الله في شرحه على صحيح الإمام مسلم رحمه الله : " أَخْبَرَ أَنَّ نَقْضَ الْكَعْبَةِ وَرَدَّهَا إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ صلى الله عليه وسلم مَصْلَحَةٌ ، وَلَكِنْ تُعَارِضُهُ مَفْسَدَةٌ أَعْظَمُ مِنْهُ ؛ وَهِيَ خَوْفُ فِتْنَةِ بَعْضِ مَنْ أَسْلَمَ قَرِيبًا ، وَذَلِكَ لِمَا كَانُوا يَعْتَقِدُونَهُ مِنْ فَضْلِ الْكَعْبَةِ فَيَرَوْنَ تَغْيِيرَهَا عَظِيمًا فَتَرَكَهَا صلى الله عليه وسلم " [2] .

وفي مشهد آخر أعرض النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل المنافقين في أكثر حادثة تستوجب القصاص منهم ، وهي حادثة الإفك التي استغلها رأس النفاق ابن أبي سلول للطعن في عرض النبي صلى الله عليه وسلم ، غير أن النبي صلى الله عليه وسلم أعرض عن قتله حتى لا يقال إنه يقتل أصحابه ، وحتى لا يؤدي ذلك إلى مفسدة عظيمة ، وهي إشاعة القتل بين المسلمين لتشكيك أحدهم في دين الآخر واتهامه بالنفاق .

إن المتأمل في سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتضح له ذلك الارتباط الوثيق بين الأحكام الشرعية التي تبرزها نصوص السيرة الشريفة ومشاهدها الخالدة من جهة ، ومصالح الأمة الحيوية التي تمثل مقاصد تلك الأحكام من جهة أخرى ، ومن ثم فإن كلَّ ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم يهدف إلى حفظ مصالح الناس العاجلة والآجلة المتعلقة بحياتهم الفردية والأسرية والجماعية والإنسانية ، ودرء المفاسد والمضار عنهم.

(٤) الموازنة بين المصالح والمفاسد :

إن الناظر في سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في

[1] صحيح البخاري ، كتاب الحج ، بَابُ فَضْلِ مَكَّةَ وَبُنْيَانِهَا ، ح ١٥٠٧ .
[2] شرح النووي على صحيح مسلم ، ٨٩/٩ .

عهديها المكي والمدني ليقف على نظر مقاصدي دقيق ، مبني على فقه الواقع ، وفقه الموازنات والأولويات وفقه السنن الإلهية ، فقد راعى النبي صلى الله عليه وسلم في بداية الدعوة بمكة المكرمة طبيعة الدعوة ، وتدرجها ، وبيئتها ، ومواقف الناس تجاهها ، وقد كف عن دفع مفسدة الاضطهاد والتعذيب الذي تعرض له المسلمون في بداية الدعوة ، درءاً لمفسدة أعظم منها ، وحفاظاً على أنفس المسلمين ، واهتم في هذه المرحلة بصناعة جيل البناء والإصلاح ، كما راعى في المرحلة المدنية قوة المسلمين ، وعدتهم وعددهم ، وما تتطلبه المرحلة من إعداد واستعداد ، فأذن لهم بمقارعة الشرك ودفع العدوان ، تحقيقاً للمصالح العامة للأمة وأمنها الاجتماعي وسلمها الأهلي ، حيث توافرت الشروط المعنوية والمادية لدفع هذه المفاسد كلها .

وفي باب الموازنات يكفي أن نذكر من سيرته الغراء صلى الله عليه وسلم صلح الحديبية الذي أسس للسلم والطمأنينة والسلام ، مكن المسلمين من بيان قيم الخير والفضيلة والتراحم والمحبة والأخوة في الدين التي جلبت إليها كثيراً من المتطلعين ؛ وهو ما لم يدركه بعض الصحابة أنفسهم إلا بعد حين . . . فقد حقق بهذا الصلح مصالح كثيرة للأمة ، وحقن به دماء أهل مكة والمسلمين جميعاً .

أما يوم الفتح الأعظم لمكة المكرمة فلم يقتص النبي صلى الله عليه وسلم من أولئك الذين آذوه وآذوا أصحابه وأخرجوهم من ديارهم وأخذوا أموالهم بغير حق ؛ وإنما أعلن العفو العام عن أهل مكة حفظاً للأنفس من القتل والسبي ، وإبقاءً للأموال المنقولة والأراضي بيد أصحابها ، وعدم فرض الخراج عليها ، وتقديساً لحرمة البيت العتيق والبلد الحرام ، هذا فضلاً عن تحقيق مصالح أخرى كتأليف قلوب أهل مكة على الإسلام بإبراز سماحة الإسلام ومعاني الرحمة للعالمية في الرسالة المحمدية ، مما دفع بأهلها الذين كانوا يناصبونه العداء إلى الدخول في دين الإسلام أفواجاً .

(٥) نحو نظر مقاصدي في السيرة الغراء :

إن إعادة النظر في السيرة النبوية العطرة وفق رؤية مقاصدية ليس نزهةً معرفيةً ، ولا ينبغي أن يكون ، وإنما هو عمل علمي ومشروع حضاري عمراني غايته الخروج بالأمة من واقع الفتنة المعبَّر عنه بأسلوب النبوة (ذهاب العلم) ، وذلك بإعادة بناء النسق العلمي للخطاب الشرعي ، وبيان مراعاة الإمكان البشري المعتبر في قصد المكلف ، المانع من تحميل

الأمة ما لا طاقة لها به في المنهج النبوي .

ومن ثم فإن النظر المقاصدي في السيرة النبوية هو من أكثر ما تحتاج إليه الأمة المسلمة في الوقت الراهن ، إذ إن ذلك النظرَ يستنطق المشاهد والأحداث والنصوص السيرية ليكتشف عن مقاصد الرسالة النبوية التي جاءت السيرة تطبيقاً ومنهاجاً عملياً لها .

ذلك بأن إحياء مقاصد الوحي وقيمه ، واستدعاء المعاني الإنسانية النبيلة – التي اجتمعت في سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الرسول الإنسان الكامل في أخلاقه ودينه ، والكامل في نبوته التي استوعبت إرث النبوات السابقة – ، والوقوف على الأبعاد المقاصدية في السيرة النبوية التي لم تنل حظها مثل ما نالته الجوانب الأخرى ، ضرورةٌ للأمة التي تتوق إلى مجدها الخالد وماضيها التليد وخيريتها وشهودها الحضاري .

والحاصل أن النظر المقاصدي في الاستمداد من السيرة النبوية إنما استدعته مقتضيات تحقيق خلودِ السيرة النبوية والامتداد بهداياتها وسننها ، وبسطها على جميع جوانب الحياة الإنسانية والتدليل على رعايتها لمصالح العباد ، وتخليص الفهم من النظرة الجزئية النصفية التبعيضية والصورة الآلية المجردة البعيدة عن فقه الواقع ، حيث انتهى الأمر إلى قواعد مجردة وقوالب بعيدة عن الارتباط بالغايات الأصلية للمنهاج النبوي ، إلى درجة قد تفوت المصلحة ، وإعادة توجيهه صوب تحقيق مصالح العباد في معاشهم ومعادهم ، ومعالجة مشكلاتهم الاجتماعية ، وهي الغاية التي من أجلها جاءت الشريعة وبُعث سيد الخليقة وكانت الرسالة .

ومن ثم فإن النظر المقاصدي في السيرة النبوية هو المدخل الأساس العاصم من الانحراف في الاستمداد منها ، والعاصم أيضاً من الوقوع في الخلل والزلل والاضطراب في فهمهما والوعي بها وتنزيلها .

لذلك فمن الأهمية بمكان – ونحن نتحدث عن النظر المقاصدي في السيرة النبوية – امتلاك القدرة على الوعي بها ، وإدراك مراحلها بدقة ، ومقاصدها في كل مرحلة ، ومرونتها في التعامل مع الواقع من خلال تلك المقاصد ، أمراً ونهياً ، وحظراً وإباحةً ، ورخصةً وعزيمةً ، بحسب الظروف والأحوال ، والاستطاعات والإمكانات المتاحة ، وتوفر الأسباب ، ومن ثم القدرة على تحقيق خلودها ، وذلك بتجريدها من حدود الزمان والمكان وقيودهما ، وتوليد الرؤى ، والأحكام الشرعية ، والحلول النبوية للحالات ، مع مراعاة الأعمار التي يمر بها المجتمع ، وتنزيل هذه

الحلول على الواقع في ضوء ظروفه وإمكاناته وموقعه من مسيرة المجتمع الأول وسيرته .

ذلك بأن غياب هذا النظر ، وعدم فقه مقاصدِ التعامل مع الحالات المتنوعة من الواقع ، وأسباب التركيز عليها ، والوقوف عند ظاهر الأحداث السيرية دون النظر في حكمها وعللها ومقاماتها وسياقاتها ومقاصدها ، أدى إلى اختلال منهجي في فهمها ، كما نتج عنه بروز فرق خارجة ، ونتوءات فكرية ، لا تتفق مع توازن السيرة النبوية والمنهاج النبوي وشموله ووسطيته واعتداله وقيمه ومعاني الرحمة فيه ، أخذت بعض الجزئيات وضخمتها ، وحاولت المرابطة من ورائها ، وتعميمها على المنهاج كله ، فاضطربت الأولويات ، واهتزت النِّسب ، وظهرت الثنائيات المتناقضة ، والتعسف في التفسير والتأويل المذهبي ، وهو ما لم يعرفه تنزيل الإسلام الأنموذجي في خير القرون [1] .

ومجمل القول : إن النظر المقاصدي في السيرة النبوية هو المنهج الصحيح لفهمها والوعي بها في كل مراحلها ؛ في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، والسلمِ والحرب ، والدعوةِ والتربية والبناء الإصلاح ، والعلاقات الإنسانية والاجتماعية والحضارية والدولية ، والسياسةِ الداخلية والخارجية ، وفي سائر وجوه الحياة المتنوعة .

خلاصة القول :

إن السيرة النبوية العطرة في كل مناحيها انطلقت من اعتبارات مقاصدية ، وسعت إلى تحقيقها والحفاظ عليها ، سواء ما كان منها استجابةً للوحي المنزّل من لدن رب العالمين ، أو ما كان اجتهاداً منه صلى الله عليه وسلم ، مسدداً بالوحي ، والمتأمل في المنهاج النبوية في تعامله مع استطاعة المكلف وفقهه لحالته وتقرير الأحكام الشرعية يدرك أن المنهج النبوي منهج مقاصدي ، والنظر المحمدي نظر مقاصدي ، قائم على جلب المصالح ودرء المفاسد ومراعاة المآلات ، وحفظ الكليات الشرعية والمقاصد النبيلة .

---

[1] المنهج النبوي والتغيير الحضاري ، برغوث عبد العزيز بن مبارك ، سلسلة كتاب الأمة الصادر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر ، العدد ٤٣ ، رمضان ١٤١٥هـ ، من تقديم : عمر عبيد حسنة ، ص ١٠ – ١١ بتصرف .

الخروج عن الأصل المعتاد لدى علماء العربية وأثره في اللغة العربية

(الحلقة الثانية الأخيرة)

الأستاذ محمد أبو طه المكي*

الحذف في العناصر الإسنادية :

من المعلوم أنّ النحاة قد أطلقوا على العناصر الإسنادية العُمد ، وهي مالا تستغني عنه الجملة وما دونه فهو فضلة يمكن أن تستغني عنه الجمل حيث يقول المبرد في هذا الصدد : " هما ما لا يستغني كل واحد عن صاحبه [1] ، وقد يقع الحذف في العناصر الإسنادية من المسند والمسند إليه ، فمن ذلك : قام زيد " ولا يجوز الحذف إلا بوجود قرينة لفظية ، أو معنوية تدل على المحذوف " فالذكر قرينة لفظية ، والحذف إنما يكون بقرينة ، وأهم القرائن الدالة على المحذوف : هي الاستلزام ، وسبق الذكر ، وكلاهما من القرائن اللفظية [2] .

اختلف العلماء أيهما أولى بالحذف ، المبتدأ أم الخبر ، فمنهم من قال بحذف المبتدأ ؛ ذلك أن الخبر فيه الفائدة ، ومنهم من ذهب إلى أن حذف الخبر أولى ؛ وذلك أن المبتدأ هو عين الخبر وهو الثابت ، ولكن المتعارف عليه والمعمول به أن الحذف يقع في كليهما ، وذلك إن وجدت قرينة تدل على المحذوف . يقول ابن يعيش : " اعلم أن المبتدأ والخبر جملة مفيدة تحصل الفائدة بمجموعهما ، فالمبتدأ معتمد الفائدة ، والخبر محل الفائدة فلا بد منهما ، إلا أنه قد توجد قرينة لفظية أو حالية تغني عن النطق بأحدهما " [3] . مثلاً في قوله تعالى : (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)

---

* المحاضر بقسم اللغة العربية وآدابها ، الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ ، بنغلاديش ، والباحث بمرحلة الدكتوراه بفرع اللغويات بكليّة اللغة العربيّة وآدابها – بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

[1] المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد ، المقتضب ،المحقق : محمد عبد الخالق عظيمة ، الناشر : عالم الكتب ، بيروت ، د – ت ، ج ٤ ، ص ١٢٦ .

[2] حسان ، د .تمام ، اللغة العربية : معناها ومبناها ، دار الثقافة ، المغرب ، ط ١ ، ١٩٩٤م ، ص ٢٢١ .

[3] الموصلي ، ابن يعيش موفق الدين ، ج ١ ، ص ٩٤ .

[البقرة : ١٧١] ، وفي هذه الآية حذف المبتدأ والتقدير : " هم صم بكم عمي " [١] ، فالآية تتحدث عن المنافقين ، ولكنها لا تذكرهم بصريح اللفظ ؛ ولكن يستدل على ذلك من ظروف نزول الآية في المنافقين ، والحذف هنا يشعر السامع بتحقير الله تعالى للمنافقين واستهزائه بهم ، وكأنه يترفع عن ذكرهم في الكلام بدليل قوله تعالى آية سابقة لها : (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) [البقرة : ١٥] ، وقوله " صم بكم عمي " أخبار لمبتدأ محذوف وهم : المنافقون أو خبر واحد بالتأويل المشهور كما في قولهم " هذا حلو حامض " [٢] . وكذلك في قوله تعالى : (وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) [البقرة : ٥٨] ، في هذه الآية حذف المبتدأ ، والتقدير : " سؤالنا حطةَ " [٣] ، وحطة " فعله من الحط كالجلسة ، والركبة ، وهي خبر لمبتدأ محذوف ، أي مسألتنا حطة ، أو أمرك حطة : والأصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة ، وأنها رفعت لتعطي معنى الثبات " [٤] .

ويحذف الخبر جوازاً لدلالة العطف عليه ، ومنه قوله تعالى : (أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا) [الرعد : ٣٥] فالجملة " أكلها دائم " مبتدأ وخبر ، والجملة الثانية " ظلها " مبتدأ حذف خبره ، والتقدير : " ظلها دائم " ، وهنا حذف الخبر اعتماداً على فهم السامع من دلالة الجملة السابقة [٥] .

ويحذف الخبر بعد فاء الجزاء في جواب الشرط ، وذلك لدلالة فعل الشرط عليه ، ومنه قوله تعالى : (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) [البقرة : ١٨٤] فقوله " عدة " مبتدأ خبره محذوف ، ويفهم هذا الخبر من سياق الكلام ، والتقدير : فعليه " عدة " [٦] .

---

[١] عماد الدين أبو الفداء ، إسماعيل بن عمر بن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ج ١ ، ص ٥٤ .

[٢] أبو السعود العمادي ، محمد بن مصطفى ، تفسير أبي السعود ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ج ١ ، ص ٦٢ .

[٣] العكبري ، أبو البقاء ، التبيان ، ص ٦٥ .

[٤] جار الله الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تحقيق وتعليق : محمد مرسي عامر ، دار المصحف ، القاهرة ، ط ٢ ، ج ١ ، ص ٧٠ .

[٥] ينظر : أبو عبدالله الزركشي ، بدر الدين محمد ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، ط ٢ ، بيروت ، لبنان ، ج ٣ ، ص ١٣٩ .

[٦] الأندلسي ، أبو حيان ، البحر المحيط ، ج ٢ ، ص ١٨٤ .

ويحذف الفعل وجوباً ، وذلك إذا فسّر الفعل المحذوف فعل بعده ، ويأتي هذا الحذف بعد أدوات الشرط المختصة بالأفعال ، وقد تلاها اسم ، إذ لا يصح أن يكون الاسم فاعلاً للفعل المذكور بعده ؛ لعدم جواز تقديم الفاعل على الفعل عند جمهور النحاة . " ومن ذلك قوله تعالى : (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ) [التوبة : ٦] ، (فأحد) فاعل لفعل محذوف وجوباً يفسره المذكور ، والتقدير : " وإن استجارك أحد من المشركين استجارك " ، ولا يصح ذكر الفعل المحذوف ؛ لئلا يجمع بين المفسِّر والمفسَّر [١] . ويجوز حذف الفعل في الجملة الفعلية إذا دلّ عليه دليل ، إما وقفاً ، أو لفظاً ؛ وذلك في المواضع الآتية : – إذا وقع جواباً لاستفهام محقق نحو قوله تعالى : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) [الزخرف : ٨٧] والتقدير : خلقهم الله . – إذا وقع جواباً لاستفهام مقدر نحو قوله تعالى : (رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) [النور : ٣٧] والتقدير : يسبّح له رجال [٢] .

الحَذف في العناصر غير الإسنادية :

لا يخفى أنّ النحاة يقصدون من الجملة الفعلية توصيل المعنى من المتكلم إلى السامع ، وإنه إذا ظهر المعنى الذي يقصده المتكلم بقرينة حالية أو غيرها لم يحتج إلى بعض ألفاظ الجملة ؛ لوجود ما يدلّ عليها ، وهكذا يمكن أن يحذف بعض ألفاظها للاستغناء عنها ، والجملة الفعلية تتكوّن من الفعل والفاعل ، وكل ما عداهما فضلة يستغني عنه الكلام ، وكما جاز أن يحذف الفعل والفاعل وأحياناً وجب ذلك ، فإنه يجوز حذف المفعول به إذا دلّ عليه دليل ، وذلك حتى يستقيم الكلام وقد يمنع . فمن النحاة من لم يشترط وجود دليل أو قرينة لحذف المفعول به ، لأنه فضلة ويمكن الاستغناء عنه [٣] .

حذف المفعول به :

يجوز حذف المفعول به لغرضٍ لفظي لتناسب الفواصل ، أو معنوي كالإيجاز كما في قوله تعالى : (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا) [البقرة : ٢٤]

---

[١] أبو المكارم ، د . علي ، الجملة الفعلية ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٧م ، ص ٨٨ .

[٢] الأنصاري ، ابن هشام ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ج ٢ ، ص ٨٨ .

[٣] ينظر : خضير ، د . محمد ، قضايا المفعول به عند النحاة العرب ، مكتبة الانجلو المصرية ، ص ٣٣٩ .

أو احتقاره في قوله تعالى : (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي) [المجادلة : ٢١] ، أي لأغلبنّ الكافرين ، " ويحذف المفعول أيضاً عند الاقتصار على الحذف وفاعله دون إرادة المفعول ولا دليل عليه " [١] .

حذف عائد الموصول :

وقد ورد في القرآن الكريم حذف عائد الموصول وإثباته [٢] ، كما في قوله تعالى : (وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) [البقرة : ٣٣] حذف عائد صلة الموصول وهو المفعول به في قوله " تبدون ، تكتمون " والتقدير : " ما تبدونه وما تكتمونه " [٣] .

حذف التمييز :

وقد وقع حذف التمييز في كلام العرب وفي القرآن الكريم ، ولعل حذفه جاء للاهتمام بالعدد والتركيز عليه أكثر من التمييز . كما في قوله تعالى : (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ) [البقرة : ١٩٦] ، وقد حذف تمييز العدد " سبعة " والتقدير : سبعة أيام لدلالة ما قبله عليه في قوله " ثلاثة أيام " ، وكذلك تمييز " عشرة " والتقدير : عشرة أيام ، وحذف لدلالة السياق عليه ؛ لذلك لا داعي لتكرار التمييز ؛ لأنه معلوم في الآية ، فالعدد هو الذي كان محط الاهتمام وليس التمييز [٤] .

حذف الحال :

الأصل في الحال عدم الحذف ؛ ذلك أنه يؤتى بها للتوكيد ، والحذف ضد التوكيد ، ومناقض له ولا يجوز حذفها إلا إن دلّت عليها قرينة الحال أو المقام دلالة واضحة . كما في قوله تعالى : (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) [البقرة : ١٨٥] ، وقد حذف الحال في قوله " فمن شهد منكم الشهر فليصمه " والتقدير : فمن شهد منكم الشهر " صحيحاً بالغاً " ، وجاء الحذف للحال هنا لقوة الدلالة عليها في القرآن والسنة [٥] .

---

[١] أبو عرفان الشافعي ، محمد بن علي الصبان ، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، ومعه شرح شواهد للعيني ، دار إحياء الكتب العربية ، ج ٣، ص ٣٤ .

[٢] الصابوني ، عبد الوهاب ، اللباب في النحو ، دار الكتب ، مكتبة الشروق ، بيروت ، لبنان ، ص ١٩٠ .

[٣] أبو السعود العمادي ، محمد بن مصطفى ، تفسير أبي سعود ، ج ١ ، ص ١٠٦ .

[٤] الأندلسي ، أبو حيان ، البحر المحيط ، ج ٢ ، ص ٢٦٢ .

[٥] الموصلي ، أبو الفتح عثمان بن جني ، الخصائص ، ج ٢ ، ص ٣٨٠ .

حذف المنعوت :

ويجوز بكثرة حذف المنعوت إن علم [1] ، كما في قوله تعالى : (وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذه الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا منَ الظَّالمينَ) [البقرة : ٣٥] ، حيث حذف الموصوف في قوله " وَكُلاَ مِنْهَا رغَداً " والتقدير : وَكُلاَ مِنْهَا أكلاً رغداً ، فقوله " رغداً " جاء منصوباً نيابة عن المفعول المطلق إذ هو صفة لمصدر موصوف محذوف ؛ ذلك أن " الرغد يعني العيش الهنيئ الذي لا عناء فيه " [2] ، وجوّز أبو البقاء العكبري أن تكون رغداً " مصدراً في موضع الحال تقديره : وَكُلاَ مستطيبين متهنئين " [3] .

حذف حرف النداء :

ويحذف حرف النداء لأغراض منها : إرادة الإيجاز إذا تطلب المقام ذلك ، ويفيد حذفه أيضاً العجلة والإسراع ، " وكذلك يفيد الدلالة على أن المنادى قريب من المنادي سواء كان القرب حقيقياً مادياً أم معنوياً ، كما في قوله تعالى : (ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاء تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ) [البقرة : ٨٥] . والتقدير : ثم أنتم يا هؤلاء تقتلون أنفسكم [4] .

حذف المنادى :

اختلف النحاة حول جواز حذف المنادى واحتج من منع حذفه بأن المنادى هو المقصود من الكلام فإذا حذف فقد نقصت الإفادة منه [5] . وأما من أجاز حذف المنادى فقد أوجب الإبقاء على ياء النداء دليلاً عليه ، واستدلوا على جواز هذا الحذف بقوله تعالى : (أَلَّا يَسْجُدُوا للَّه) [النمل : ٢٥] بقراءة الكسائي بتخفيف ألاّ والتقدير : ألا يا هؤلاء اسجدوا لله ، " ويجوز أن يكون (يا) تنبيهاً ولا منادى هناك ، وجمع بينهما تأكيداً ؛ لأن الأمر قد يحتاج إلى استعطاف المأمور واستدعاء إقباله على الآمر . إذن فالحذف في باب النداء إنما يقع ويكثر استعماله في حروف النداء [6] .

---

[1] الشوكاني ، محمد علي ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، ج ١ ، ص ٦٧ .

[2] الأندلسي ، أبو حيان ، البحر المحيط ، ج ٢ ، ص ٢٦٢ .

[3] العكبري ، أبو البقاء ، التبيان ، ص ٦٢ .

[4] السامرائي ، د . فاضل ، معاني النحو ، دار الفكر ، ط ٢ ، ٢٠٠٣م ، ج ٤ ، ص ٢٧٦.

[5] فاخر ، د . علي محمد ، دراسات نحوية وصرفية في شعر ذي الرمة ، ، ط ١ ، ١٩٩٦م ، ص ٢٨٣ .

[6] ينظر : أبو عبد الله الزركشي ، بدر الدين محمد ، البرهان في علوم القرآن ، ج ٣، ص ١٨٠ .

حذف جملة جواب الشرط :

يذهب البصريون إلى أن المتقدم هو دليل جواب الشرط ، وليس هو الجواب نفسه ، وحجتهم في ذلك أن أداة الشرط لها صدر الكلام فلا يجوز أن يتقدم الجواب عليها . " وحذف الجواب يقع في مواقع التفخيم والتعظيم ، ويجوز حذفه لعلم المخاطب به ، وإنما يحذف لقصر المبالغة ؛ لأن السامع مع أقصى تخيله يذهب منه الذهن كل مذهب ، ولو صرح بالجواب لوقف الذهن عند المصرح به ، فلا يكون له ذلك الوقع ومن ثم يحسن تقدير الجواب مخصوصاً إلا بعد العلم بالسياق " [1] . وقد ورد حذف جواب الشرط في قوله تعالى : (وعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [البقرة : ٣١] ، فقد جاءت في الآية " إن " الشرطية ، وقد تقدم عليها قوله : " أنبئوني بأسماء هؤلاء " ، والتقدير : إن كنتم صادقين فأنبئوني بأسماء هؤلاء ، ذلك أن " أنبئوني " السابقة تدل على الجواب المحذوف ، وهذا مذهب البصريين ، وخالفهم الكوفيون وزعموا أن جواب الشرط هو المتقدم " [2] .

حذف الجار :

وقد كثر حذف الجار في القرآن الكريم ، ثم إيصال الفعل إلى المجرور كقوله تعالى : (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا) [الأعراف : ١٥٥] ، والتقدير : اختار موسى من قومه ، وفي قوله تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ) [البقرة : ٣٤] ، والتقدير : فسجدوا لآدم ، وحذف الجار والمجرور لدلالة ما قبله عليه [3] .

حذف المضاف والمضاف إليه :

جاء الحذف في المضاف في كلام العرب ، وفي القرآن الكريم ، وذلك اعتماداً على فهم السامع وعلمه بالمحذوف ، فإذا حُذف المضاف أُقيم المضاف إليه مقامه ، ومنه قوله تعالى : (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ) [البقرة : ١٩٩] ، وهنا حذف المضاف في قوله " أفاض الناس " ، والتقدير : " ثم أفيضوا من حيث أفاض بعض الناس " [4] . ويأتي حذف

---

[1] ينظر : أبو عبدالله الزركشي ، بدر الدين محمد ، البرهان في علوم القرآن ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٨٣ .

[2] ينظر : الأندلسي ، أبو حيان ، البحر المحيط ، ج ١ ، ص ٢٣٦ .

[3] ينظر : الأندلسي ، أبو حيان ، البحر المحيط ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٧ .

[4] ينظر : الشافعي ، محمد بن إدريس ، الرسالة ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ،

المضاف إليه بعد ظروف الغايات مثل " قبل وبعد " ، فإذا حذف المضاف إليه بعدها بنيت على الضم " ، وإنما بنوا هذا الضرب على الضمة دون الفتحة والكسرة ؛ لأنه يعرب بالنصب والخفض دون الرفع ، فلو بنوه على أحدهما التبست حركة بنائه بحركة ، والضمة على آخر هذه الظروف دالة على قطعها عن الإضافة ، أي حذف المضاف إليه ، ومما جاء على ذلك في قوله تعالى : (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا) [البَقرة : ٨٩] ، وَقد جاءَ ظرف الزمان " قبل " مبنيَاً على الضَم ؛ لقطعه عن الإضافة ، وتقدير الكلام قبل الحذف : " وكانوا من قبل هذا " [١] .

الخاتمة :

ولقد وصل البحث إلى أهم النتائج والتوصيات ، ومن أهمها :

من المعلوم أنّ الحذف في العربية تشمل جميع أجزاء الكلام من حرف واسم وفعل ، وأحياناً حذف الجملة بأكملها ، وأن المقام يستدعي أحياناً حذف بعض أجزاء الكلام وجوباً ؛ لوجود الدليل على ذلك الكلام المحذوف ، وقد استخدم القرآن الكريم الحذف لأغراض مختلفة جلبت على الكلام معاني جمالية متعددة وفوائد بديعية في المحافظة على فواصل الآيات على نهاياتها في بعض الآيات القرآنية .

والحذف بمجمله عند العلماء العربية من النحاة متعلقة بإسقاط أحد عناصر الجملة سواء كان عمدة أو فضلة ، فالنحوي ينظر إلى هذه الظاهرة من بابها التركيبي ، خلافا للبلاغي الذي ينظر من بابها الدلالي .

أن للحذف شروطاً وضعها علماء العربية ، فهو لا يقع في الجملة عشوائياً دون قواعد ، ولو لم تكن هذه الشروط لاختل المعنى ؛ لأنّ الجملة في المقام الأوّل ليست تراكيب مجردة ؛ وإنما معانٍ ودلالات واضحة .

أهم وأكثر تعليل للحذف عند علماء العربيّة ، هو : علم المخاطب بالمحذوف ، وكثرة الاستعمال ، وطول تركيب الجملة ، ووجود الدليل اللفظي أو المقالي عليه ، وألاّ يكون جزءاً من شيئ آخر ، وألاّ يكون مؤكداً ، وألاّ يكون في حذفه اختصار لما تم اختصاره ، وألاّ يكون عاملاً ضعيفاً ، وألاّ يكون عوضاً ، وألاّ يؤدي حذفه إلى تهيئة العامل للعمل وقطعه عنه ، وألاّ يؤدي حذفه إلى إعمال العامل الضعيف دون القوي .

١٣٠٩هـ ، ج ١ ، ص ٦١ .

[١] ينظر : أبو القاسم الزجاج ، معاني القرآن وإعرابه ، ج ١ ، ص ١٧١ .

مجلة " الضياء " رائدة الصحافة العربية في الهند

الأخ آفاق القريشي *

برزت الصحافة العربية في شبه القارة الهندية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي بظهور أول جريدة عربية في عام ١٨٧١م باسم " النفع العظيم لأهل هذا الإقليم " ، تحت رئاسة تحرير الشيخ مقرب علي ، وكانت هذه الجريدة بمثابة لبنة أولى للصحافة العربية في شبه القارة الهندية ، وخلفت آثاراً بعيدة المدى في أبناء هذه البلاد . واستمر صدور هذه الجريدة بانتظام ، إلى أن احتجبت في عام ١٨٨٥م [١] . كما هناك رأي آخر في ظهور أول مجلة عربية في شبه القارة الهندية ، ولكن ذلك حينما أخذنا بعين الاعتبار ، اللهجات العربية المختلفة ؛ حيث نجد أن أول مجلة باللغة العربية (باللهجة العامية) ظهرت في الهند كانت مجلة " طالب الخير لقومه " التي أخرجها داؤد بن هائم (David Bin Hayyim) بمدينة ممبائ في عام ١٩٥٥م [٢] .

فبعد احتجاب جريدة " النفع العظيم " ، ظهرت على مسرح الوجود ، فينة لأخرى ، مختلف الجرائد والمجلات العربية في شبه القارة الهندية ، والتي ساهمت في تطوير الصحافة ، ونشر اللغة العربية بين أبناء الهند ، فأصدرت مجلة " أخبار شفاء الصدور " في عام ١٨٧٥م ، ثم مجلة " أخبار نسيم الصباح " في عام ١٨٩٣م ، ثم مجلة " البيان " في عام ١٩٠٢م ، ثم مجلة " الجامعة " في عام ١٩٢٣م [٣] . وأخيراً ، بعد فترة استمرت لبضع سنين من عدم ظهور مجلة أو جريدة عربية ، أشرقت أرض الهند بنور " الضياء " في عام ١٩٣٢م بإدارة تحرير الأستاذ مسعود عالم الندوي والشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ، وتحت إشراف العلامتين الجليلين السيد سليمان الندوي ،

---

* الباحث بالجامعة الملية الإسلامية (دهلي) .

[١] دور الصحافة في بناء المجتمع الهندي ، الدكتور أيوب تاج الدين الندوي ، ثقافة الهند ، م ٥٦ ، العدد ١ ، ص ١٣٥ ، سنة ٢٠٠٥م .

[٢] نظرة على تاريخ نشأة المجلات العربية في الهند ، الدكتور محسن عتيق خان ، صحيفة الجزيرة ليوم ٢٠١٨/٠٦/٠٨م ، ٢٠١٨/٦/٨/https://www.aljazeerah.net/blog

[٣] دليل الجرائد والمجلات العربية في الهند ، من طباعة مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية ، سنة١٤٤٠هـ — ٢٠٠٥م .

والشيخ محمد تقي الدين الهلالي المغربي . وعلى حدّ تعبير الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي : " إنه لم يكن أحد أحق بهذه الإدارة منه " [1] .

مجلة " الضياء " :

فكانت مجلة " الضياء " الغرّاء مجلةً ، عربيةً ، علميةً ، أدبيةً ، تعليميةً ، اجتماعيةً ، ثقافيةً ، فكريةً ، تصدر في منتصف كل شهر حسب التقويم الهجري ، وتقوم بنشر مختلف المقالات العلمية على صفحاتها الأربعين ، في مجالات مختلفة ، بما فيها الأدب ، والسياسة ، والتاريخ ، والتعليم ، والتربية ، والأمور الدينية ، وغيرها ، إلى جانب تخصيص بعض الأعمدة فيها ، مثل " سير الحوادث " ، و " نظرات " ، و " آثار وأخبار " ؛ من أجل الإفادة بالأخبار والأنباء حول البلدان العربية والإسلامية ، والدولية ، وكتابة تعليقات حول ما يجري فيها من الأحداث والأمور ، وكان يكتبها رئيس تحرير المجلة الأستاذ مسعود عالم الندوي بنفسه . وكذلك كان فيها باب " بستان الأدب " ، الذي كان مختصاً ببثّ القصائد العربية للهنود والعرب ، فممن نُشر نتاج قرائحهم فيه : هم العلامة السيد سليمان الندوي ، وعبد الرحمن الكاشغري ، والسيد رضا الشبيبي ، وأحمد محرم ، وأحمد شوقي ، وأحمد زكي أبو شادي ، وغيرهم . كما كان هناك باب " عالم الأدب " ، الذي كان المحرر ينتقد فيه كل ما يصل إلى المجلة من المجلات ، والكتب العلمية ، والمطبوعات الجديدة ، في إحدى اللغات العربية ، والإنجليزية ، والأردية . فكان الأستاذ مسعود عالم الندوي يقدم بها تعريفاً وجيزاً ، ويعطي فيها ملاحظاته القيمة ، ويحلل مقالاتها ورسائلها ، ويظهر ما فيها من قيمة أدبية ، علمية ، فنية ، للقرّاء الكرام .

وتجدر الإشارة هنا أن أصحاب مجلة " الضياء " سعوا سعيهم في سبيل إصلاح نظام التعليم العربي في الهند ، والنهوض بمستواه إلى شأو بعيد ؛ حتى تتيسر للشبيبة الناشئة من الطلاب المسلمين ظروف مواتية للدراسة والتعلم ، وهذا ما عبر عنه منشؤها الأستاذ مسعود عالم الندوي في إحدى كتاباته في هذه المجلة قائلاً : " إن الضياء لسان حال المدارس والمجلات

---

[1] المصابيح القديمة (*پرانے چراغ*) ، الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي ، ١ – ٣٦٥ ، من طباعة مكتبة فردوس بلكناؤ ، عام ١٩٧٥م .

العربية كلها ، لا بعضها دون بعض ، ولذلك نريد أن نعقد باباً " للأنباء التعليمية " ، نذكر فيه كل ما يمت إلى هذه المدارس بصلة من برنامجها التعليمي ومناهج دروسها ، وتغيير أو انقلاب في إدارتها التعليمية " . وكذلك أعرب المشرف الكريم على مجلة " الضياء " العلامة السيد سليمان الندوي عن غاية المجلة وأهدافها في فاتحة الضياء ، المعنونة بـ " طلوع الضياء " قائلاً : " وليعلم أن المجلة مواد بحثها ، ومواضع إنشائها ، تنحصر في علوم الدين ، وفنون الأدب ، وآداب اللغة ، وطرق التربية والتعليم ، وما يناسبها من المسائل والأخبار ، وإنها لا تعزو نفسها إلى معهد دون معهد ، وتتعصب لأحد على أحد ، بل هي لسان حال المعاهد العربية كلها في هذه الديار " [1] .

فنظراً إلى ذلك ، خصصت المجلة باباً من أبوابها ؛ لأجل تحقيق هذه الغاية النبيلة ، وأسهم فيه بشكل كبير يراع الأستاذ العلامة محمد تقي الدين الهلالي ، الذي كتب شيئاً كثيراً في هذا المجال ، مما يختص بتعلم الآداب العربية ، وإنهاض مناهج دروسها وبرامجها ، التي كان قد ران عليها ما انطوى عليها من زمن الجمود والركود ، إلى جانب تخصيص العلات التي جعلتها عقيمة ، مع ذكر حلها ، وتنوير السبل المؤدية إليه .

وقد أُصدر لمجلة " الضياء " ثمانية وثلاثون عدداً ، وفيها أكثر من مائة مقالة علمية قيمة ، تعالج الموضوعات المختلفة منها ، الدينية ، والأدبية ، والتعليمية ، والاجتماعية ، والتاريخية ، والسياسية ، وهلمّ جراً . وما زالت كلها موجودة حتى الآن إلا عدد شهر صفر من عامها الرابع الأخير لعام ١٣٥٤هـ ، الموافق شهر أبريل عام ١٩٣٥م ، حيث قد لعبت به يد الإهمال والتقصير ، فضاع ولم يمكن العثور عليه . وكانت هذه المجلة تصدر أعدادها لعشرة أشهر متتالية ، انطلاقاً من شهر المحرم من مطلع العام الهجري حتى شهر شوال ، وذلك حسب ما جرت به عادة المجلات العربية ، حيث تكون سنتها عشرة أشهر ، وتعوّض عن الشهرين الباقيين بكتاب أو كتب تهديها المجلة إلى مشتركيها على حسب بدل الاشتراك .

ومن أهم كتابها مديرها الأستاذ مسعود عالم الندوي ، والشيخ محمد تقي الدين الهلالي ، والعلامة السيد سليمان الندوي ، والأستاذ أبو

---

[1] طلوع الضياء ، العلامة السيد سليمان الندوي ، مجلة الضياء ، م ١ ، ج ١ ، عدد شهر المحرم ، ص ٩ ، عام ١٣٥١هـ – ١٩٣٢م .

الحسن علي الحسني الندوي ، والأستاذ محمد ناظم الندوي ، والأستاذ عبد الرحمان الكاشغري ، والأستاذ إحسان سامي حقي ، والأستاذ أبو الليث الإصلاحي الندوي ، والأستاذ بدر الدين الصيني ، والأستاذ أمين أحسن الإصلاحي ، والأستاذ عبد السلام القدوائي الندوي ، وغيرهم .

ومن مقالات المجلة ، " علم الحديث في الهند " ، و " لسان العصر " ، و " الأدب النبوي " ، و " كيف انتشر الإسلام في الهند " ، و " علم الجغرافيا والعرب " ، و " تأثير الإسلام في الشعر العربي " ، و " تأثير المسلمين في الهند " ، و " الثورة الهندية الكبرى " ، و " اللغة العربية ومناهجها " ، و " المدارس والمعاهد العلمية الإسلامية " ، و " اللغة العربية ومناهج تعليمها " ، و " المدارس الإسلامية في الهند وعللها " ، و " أغلاط مترجمي القرآن " ، و " حاضر مسلمي الصين " ، و " شبلي النعماني " [1] ، و " رقي العلوم العربية " ، و " ندوة العلماء وتاريخها " ، و " الأمويون في التاريخ " ، و " أمثال اللغتين " ، و " دلائل نظام القرآن " ، و " شغف أبي العلاء بالمتنبي " ، و " مصر الحديثة الناهضة " ، و " الإسلام والوطنية " ، و " حول جاهلية العرب " ، وغيرها الكثير من المقالات العلمية ، التي كتبت في مواضيع مختلفة متنوعة .

كما نُشرت في الضياء بعض ترجمات المقالات والكتب ، منها : مقال " رسول الوحدة " للسيد سليمان الندوي [2] ، وقد نُشر بتعريب الأستاذ محمد ناظم الندوي ، وكتاب " الملاحة عند العرب " للسيد سليمان الندوي [3] ، وقد نقله إلى العربية الأستاذ مسعود عالم الندوي ، ومقال " العرب وأمريكا " للسيد سليمان الندوي [4] ، وترجمه أيضاً إلى العربية الأستاذ مسعود عالم الندوي . وجدير بالذكر هنا ، أن مجلة الضياء أيضاً نشرت قصةً باسم " أربعة لصوص " لكاتبها محمد ناظم الندوي [5] .

أما التعليقات والتقريظات والملاحظات للمجلة ، التي كانت يُدلي

---

[1] مقالة " شبلي النعماني " هي أول ما كتب بالعربية عن العلامة شبلي النعماني ، وقد دبجها يراع الأستاذ مسعود عالم الندوي ، ونشرت في المجلة تباعاً .

[2] مجلة الضياء ، م ١ ، ج ١ ، عدد محرم الحرام ، ص ٤ ، عام ١٣٥٢هـ – ١٩٣٣م .

[3] مجلة الضياء ، م ٣ ، ج ٤ ، عدد ربيع الآخر ، ص ١٢٢ ، عام ١٣٥٣هـ – ١٩٣٤م .

[4] مجلة الضياء ، م ٤ ، ج ١ ، عدد محرم الحرام ، ص ٨ ، عام ١٣٥٤هـ – ١٩٣٥م .

[5] مجلة الضياء ، م ٤ ، ج ١ ، عدد محرم الحرام ، ص ٣٠ ، عام ١٣٥٤هـ – ١٩٣٥م .

بها على وجه العموم يراع المدير البليغ الأستاذ مسعود عالم الندوي ، إنما كانت متفتحة الآفاق ، ومتنوعة الجهات ، وتتناول كلٍ ما يصلها من أمور دينية ، وأعمال أدبية ، وأخبار سياسية ، وطنياً ودولياً . فنجد المجلة تجاذب حبل التعليق والملاحظة على أمور ساخنة كثيرة ، منها " قضية فلسطين " ، و " سياسة المسلمين الحاضرة " ، و " غاندي وحركة اللاتعاون السلمي " ، و " صراع الحجاز واليمن " ، و " جواهر لال نهرو واعتقاله " ، و " المؤتمر الهندي الوطني والمجلس النيابي " ، و " جمعية مسلم ليغ ومستقبلها " ، و " حركة كشمير " ، و " قضية العراق " وغيرها الكثير من المواضيع الأخرى المختلفة . وقد نشرت في المجلة ملاحظات قيمة ورسائل بليغة ، مكتوبة على أيدي كبار كتاب العرب ، ما عدا العلامة الهلالي ، منهم أمير البيان الأمير شكيب أرسلان ، والأستاذ إبراهيم النحاس المصري ، والأستاذ محمد الهياوي ، والسيد أبو النصر محمد الحموي ، وغيرهم .

لم تزل مجلة " الضياء " الراقية تضطلع بخدمة اللغة العربية وآدابها ، على مدى أربع سنين متتالية ، من عام ١٩٣٢ إلى ١٩٣٦م ، وبذل أصحابها جهوداً حثيثة في تنشئة الشبيبة الناشئة من الطلاب المسلمين على أسس دينية متينة ، والنهوض بمستواهم في مجال التعليم ، وفنونه العلمية ، وآدابه اللغوية ، إلى جانب استفاد مساعيهم في ترويج اللغة العربية وآدابها ، في وادٍ غير ذي زرع مثل الهند ، ولا سيما تشويق طلاب المدارس الإسلامية ؛ للاهتمام باللغة العربية ، نطقاً وكتابةً ، وتصويب أذهانهم نحو الاتجاه الفكري ، الإسلامي ، السليم ، إلى جانب تعريف أحوال المسلمين الدينية والتعليمية لدى الشعب العربي . فلقيت المجلة قبولاً واسعاً ، ونالت تقديراً بالغاً في البلدان العربية ، ورحبت بها الأوساط العلمية ، ومالت إليها القلوب الأدبية ، ونوهّت بها الجرائد والمجلات العربية ، حتى لقّب مدير تحريرها بالعلامة على صغر سنه من قبل بعض نقاد العرب ، الذي كان مشهوراً بانتقاداته الشديدة . وفوق ذلك ، حسب آراء بعض أدباء العرب وكتابها ، كان مستوى لغة هذه المجلة الهندية ، وطريقة تعبيرها أفضل من العديد من المجلات ، الصادرة في الدول العربية . ولم تزل تصدر هذه المجلة العلمية ، الأدبية ، الفكرية ، إلى أربع سنين على التوالي ، تفيد الأوساط العلمية ، الهندية منها والعربية ، ثم احتجبت ؛ لأسبابٍ ترجع إلى

قلة الموارد ، وكثرة التكاليف ، واعتلال العلامة السيد سليمان الندوي ، حتى جاءت أعباؤها كلها على كاهل الأستاذ مسعود عالم الندوي ، فلم تتوفر النقود الكافية ، التي كان يمكن من خلالها المساعدة في سبيل الاستمرار بإصدار هذه المجلة الغراء ؛ لذا لم يتمكن الأستاذ مسعود عالم من مواصلتها ، رغم بذل جهوده المشكورة .

كانت مجلة " الضياء " بمثابة جسر تواصل بين الهند والعالم العربي ، وأقامت خير أواصر بينهما لتعريف مسلميها لدى أبناء العرب ، وإلى الاطلاع على سير السياسة والثقافة والاجتماع في أقطار العروبة ، عن طريق الصحف والمجلات ، التي كانت ترد في دار العلوم لندوة العلماء في المبادلة . فهكذا نجحت المجلة في تحقيق التعارف والتآلف بين مسلمي الهند وإخوانهم من مسلمي العرب ، وتمكينهم من أن يعلم بعضهم أحوال الآخر من أصح المراجع وأقرب المصادر ، فكانت بذلك تعمل عمل السفير من الشعب الهندي لدى الشعب العربي .

حازت هذه المجلة العربية ، العلمية ، الأدبية ، الاجتماعية ، الدينية ، على تقدير بالغ ، وحفاوةٍ حارةٍ ، وقبول حسن ، لدى الأوساط العلمية ، الأدبية ، الفكرية في الهند ، والعالم العربي ؛ بصحة لغتها ، وفصاحة أسلوبها ، وأصالة تعبيرها ، إلى جانب موضوعاتها المتنوعة الشيقة ، ذات القيمة العالية .

فهذا ، وإن دل على شيئ ، فإنما يدل بشكل بيّن على نشأة الصحافة العربية ، وتطورها في شبه القارة الهندية من خلال مجلة " الضياء " ، ويوحي بدور فعّال قامت به المجلة في نشر اللغة العربية بين أبناء الهند ، وبث مكارم الإسلام بينهم ، وتصويب وجهتهم نحو تعلمها وتعليمها ، من خلال عناوينها المتنوعة ، العلمية ، الشيقة ، الممتعة ، في مختلف المجالات ، بما فيها الأدب ، واللغة ، والتربية ، والصحافة ، والتاريخ ، والدين ، والسياسة ، والثقافة ، والاجتماع ، وما إلى ذلك . كما فتحت لهم باباً جديداً ؛ لتبادل الأخبار والأنباء بين الهند والعرب ، وتوثيق العلاقات العلمية ، والأدبية ، والثقافية بين الأوساط الهندية والعربية ، التي كانت ضعيفة ومتقطعة ، ومنحتهم منصة جديدة ؛ للاحتكاك الثقافي الفكري الهندي العربي ، كما أطلعت العربَ على أوضاع المسلمين من الهنود تعليمياً ، ودينياً ، وسياسياً ، وثقافياً ، واجتماعياً .

الشيخ طنطاوي جوهري فى ضوء إنتاجاته العلمية

الأخ ناصر . ك*
الدكتور محمد حنيفة♣

يُعتبر الفيلسوف الحكيم الشيخ طنطاوي جوهري في مقدمة الأعلام من رجال الفكر العصريين الذين لا نزال إلى اليوم نذكرهم بكل إجلال ، وبكل تبجيل وإكبار ، وسيبقى ويبقى أولادنا وحفدتنا وحفدة أولادنا إلى يوم الدين – متأثرين بمحاولاته الإصلاحية في الأدب والدين وبتعاليمه التقدمية ، سواء ذلك في مصر وطنه العزيز أم في العالم العربي ، الذي كان فيه خير مصلح ديني [1] .

ولادته ونشأته :

نشأ الأستاذ الشيخ طنطاوي جوهري في قرية " كفر عوض الله حجري " من أعمال مديرية الشرقية قرب الآثار الفرعونية جنوب شرق الزقازيق ، وعوض الله حجري هو جد شيخ طنطاوى لأمّه ، وقد ولد في هذه القرية في سنة ١٨٦٢م ، واشتغل في مبدأ أمره بالزراعة مع أسرته التي كان لها اتصال حميد بعلماء الجامع الأزهر يفدون كل عام على سراة الأسرة وكبار بلدة الغار التي فيها أسرة أخوال والدته ، فأثر ذلك كله في والده ، فأرسله إلى كتّاب القرية ليحفظ فيه القرآن ، وكانت له جدة في تلك البلدة من أسرة عريقة لها نفوذ وسلطة تسمى أسرة العنائمة ، وكانت جدته تعنى به عنايةً خاصةً ، وذلك لأنها كانت تحبه حباً جماً [2] .

وكان والده الشيخ طنطاوي عالماً من علماء مصر حريصاً أن يكون ابنه يضارع أولئك الذين يجوبون البلاد مثل الشيخ الأشموني

---

* باحث في قسم اللغة العربية .

♣ الأستاذ المتقاعد جامعة كاليكوت ، كيرلا ، الهند .

[1] د . عبد العزيز جادو ، الشيخ طنطاوي جوهري ، دراسة ونصوص ، ط . دار المعارف، القاهرة ، ص ٥ .

[2] المرجع السابق ، ص ١١ .

والشيخ العشماوي والجوري وغيرهم . وكان الشيخ محمد شلبي عم الشيخ طنطاوي رجلاً صالحاً تقياً محباً للعلم والعلماء ، مغرماً بمجالسهم ، وهو الذي أشار على أخيه الشيخ جوهري بإرسال ابنه إلى الأزهر ، ليتعلّم الفصاحة والبلاغة وعلوم الدين ، فشاقه وأيم الحق أن يكون له ولد على مثال أولئك العلماء الكبار الذين ملكوا القلوب بعلمهم ، ونزلوا أحسن المنازل لدى رجال الأمة [1] .

طنطاوي جوهري طالباً :

دخل الشيخ طنطاوى الجامع الأزهر ، وكان ذلك في عام ١٨٧٧م ، والشوق يدفعه إلى العلم والرغبة تستحثه إلى الدأب وراء العلوم والمعارف وفهم الدروس ، ولقد ظهر ذكاؤه الحاد بالرغم من كثرة الحواشي والمتون، وأتم القرآن وهو في السنة الثالثة عشرة من عمره ، ولا سيما كان يراه من اشتغال أولاد عمه بالعلم والحضور بالجامع الأزهر . أما والد الشيخ طنطاوي فهو الشيخ جوهري الزارع بقرية كفر عوض الله حجازي ، والذي كان وبعد سنوات قضاها طنطاوي في الأزهر درس فيها اللغة العربية والفقه الإسلامي ومذهب الإمام الشافعي والعلوم الأخرى من توحيد وعروض وبلاغة وغيرها ، وقعت الواقعة بنزول البلاء ، فسلب الزمان ضعف ما وهب فقد مرض الشيخ طنطاوي مرضاً شديداً اضطره إلى الانقطاع عن الأزهر والتوقف عن الدراسة فيه ، وعاد إلى القرية حيث وجد أباه أيضاً يعانى من المرض ، واضطر إلى البقاء مع أسرته الفقيرة لمساعدتها بالرغم من مرضه ، وأخذ يعمل مع الفلاحين في الحقول بنفسه ، ويداوي مرضه بالعقاقير التي كان يقرأ عنها في كتب الطلب القديمة ، ويداوي كذلك والده . أثناء مزاولة الشيخ طنطاوي عمله في الزراعة واشتغاله بالفلاحة اكتسب نزعةً جديدةً اتجه فيها إلى البحث عن وجود الله تعالى ، فقد حلت له الطبيعة بأجلى مظاهرها ، وفتحت بصيرته أبواب العلوم . تعكف على الصلاة وقراءة تفسير الجلالين ، وفي النهاية بفضل الراحة التي أحسها بين أحضان الطبيعة وبفضل صلواته وتأمله الخاشع – زالت أزمته النفسية . وإن

[1] المرجع السابق ، ١٢ بتصرف .

والـد الـشيخ طنطـاوي يتمتـع بخيـال الـشعراء ومـواهبهم ، ولم يطلـع علـى استعداده للشعر إلا استعداده العلمي للنظريات الكونية قضاها في قريته بين حب الطبيعة وجمالها ، وكان سميره في فترة الانقطاع عن الأزهر عمه الشيخ " محمد شلبي ، الذي أخذ يطالع معه الحديث الشريف في الجامع الصغير هناك وأظهر عمه فرحه وسروره من ابن أخيه ، وقال في نفسه : ما لي أسمع من ابن أخي ما لا أسمعه من أساتذة العلماء [1] .

وفاته :

وقد توفي الشيخ طنطاوي جوهري رحمه الله بالقاهرة من يناير (١٩٤٠م) وهو في سن الثامنة والسبعين بعد ما عاش فيلسوفاً محباً للكون ، ومصلحاً دينياً واجتماعياً ، وداعيةً إلى السلام العالمي ، والإخاء الإنساني ، في وقت كانت القوة هي أداة تنفيذ السياسة وإقرار الواقع [2] .

مؤلفاته طنطاوي جوهري :

ترك الشيخ " طنطاوي أكثر من ثلاثين كتاباً في مختلف فروع العلم والمعرفة ، مكتوبةً بطريقة مبسطة محببة إلى النفس ، وبأسلوب رشيق ، وترجم بعض مؤلفاته إلى الإنجليزية والفرنسية والهندية ، والأمهرية ، والإندونيسية ، وأهم مؤلفاته :

(١) الزهرة في نظام العالم والأمم (٢) نظام العالم والأمم (٣) التاج المرصع بجواهر القرآن والعلوم (٤) نهضة الأمة وحياتها (٥) الفرائد الجوهرية في الطرق النحوية (٦)جمال العالم (٧) النظام والإسلام (٨) جواهر العلوم (٩) ميزان الجواهر في عجائب هذا الكون الباهر (١٠) رسالة الحكمة والحكماء (١١) جوهر التقوى في الأخلاق (١٢) صدى صوت المصريين بأوربا (١٣) مذكرات في أدبيات اللغة العربية (١٤) أين الإنسان ؟ (١٥) الموسيقى العربية (١٦) رسالة الهلال (١٧) براءة العباسة (١٨) المدخل في الفلسفة (١٩) جوهرة الشعر والتعريب (٢٠) رسالة عين النملة (٢١) الأرواح (٢٢) أحلام في السياسة (٢٣) القول الصواب في مسألة

---

[1] المرجع السابق ، ص ١٢ و ١٣ .

[2] المرجع السابق ، ص ١١٧ بتصرف .

الحجاب (٢٤) القول الصواب في مسألة الحجاب (٢٥) السر العجيب في حكمة عدد أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (٢٦) كتاب التربية الحكيم الألماني كانط (٢٧) بهجة العلوم في الفلسفة العربية وموازنتها بالعلوم العصرية (٢٨) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٩) سوانح الجوهري (٣٠) أصل العالم (٣١) القرآن والعلوم العصرية .

آراء الباحثين :

قال الأستاذ جب في محاضرة له بهذه المناسبة في جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة : " إن كتاب " أين الإنسان ؟ " يبحث في أعقد المشكلات المالية بحثاً عجزت أوربا إلى اليوم عن الإتيان بمثله " ... وقال : " إني أعلن أن خير كتاب أخرج للناس في هذا الشأن هو كتاب " أين الإنسان ؟ " الذي يرسم للعالم بأسلوب فلسفي عميق طريقه المستقيم إلى السلام الدائم الذي رسمه الله في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) [الحجرات : ١٣] [١] .

يقول الكاتب المعروف الأستاذ رجاء النقاش عن الشيخ طنطاوي : هو أحد علماء الدين البارزين ، والمفكرين النابهين في هذا العصر برغم أنه لم يحظ بما يستحق من الدراسة والاهتمام لا في حياته ولا بعد وفاته [٢] .

الجواهر في تفسير القرآن الكريم :

الجواهر في تفسير القرآن هو آخر مؤلفات الشيخ طنطاوي ، ولقد قام بتدوينه بدون توقف من عام ١٩٢٢م حتى عام ١٩٣٥م في ٢٥ مجلداً كبيراً

يقول في مقدمة كتابه ، بأنه تأمل الأمة الإسلامية وتعاليمها الدينية ، فوجد أكثر العقلاء وبعض أجلة العلماء معرضين عن تلك المعاني ، ساهين لاهين عن التفرج عليها ، فقليل منهم من فكر في خلق العوالم وما أودع فيها من الغرائب ، مما دفعه إلى أن يؤلف كتباً كثيرة مزج فيها الآيات القرآنية بالعجائب الكونية ، وجعل آيات الوحي مطابقة لعجائب الصنع ، وحكم الخلق ، فتوجه إلى الله يسأله التوفيق إلى أن

---

[١] المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

[٢] https://darululoom-deoband.com/arabicarticles/archives/٢٠٨٢

يفسر القرآن تفسيراً ينطوي على كل ما وصل إليه البشر من علوم ، فاستجاب الله دعاءه ، وتم له ما أراد [1] .

أسلوب المؤلف في هذا التفسير :

إنّ القارئ لتفسير الشيخ طنطاوي ، يلاحظ طريقته التي سلكها ، ويرى الصورة واضحةً في الأسلوب الذي اتبعه وقصده . فهو يفسّر الآيات القرآنية تفسيراً لفظياً مختصراً ، لا يخرج عما في كتب التفسير المتداولة ، ولكنه يدخل في أبحاث علمية مستفيضة يسميها هو " اللطائف أو الجواهر " . هذه الأبحاث عبارة عن مجموعة كبيرة من أفكار العلماء في العصر الحديث ، جاء بها المؤلف ليبيّن أنّ القرآن الكريم قد سبق إلى هذه الأبحاث ، ونبّه إلى تلك العلوم قبل أن يصل إليها هؤلاء العلماء بعصور بعيدة . تراه يضع في تفسيره كثيراً من صور الحيوانات والنباتات ، ومناظر الطبيعة ، وتجارب العلوم ، ليوضح للقارئ توضيحاً يجعل الحقيقة أمامه ، وكأنها أمر مشاهد محسوس . كما أنه رحمه الله – يستشهد أحياناً على ما يقول بما جاء في إنجيل برنابا – وهو في رأيه أصح الأناجيل – وفي تفسيره يعتمد على النظريات الحديثة ، والعلوم الجديدة ، التي لم يكن يعرفها العرب [2] .

ترشيحه لجائزة السلام العالمي :

كان الشيخ طنطاوي جوهري أول من قدّم مفهوم نظرية السلام العالمي في عصره ، امتدّ نشاطه العلمي إلى أوساط العالم فكرياً وثقافياً بمخاطبة الناس ، الذين يريدون الحياة بالسّلام العام ويدعون إلى الاطلاع على المعارف والعلوم الإنسانية والمدنية والحضارة ، مما أدّى إلى تأليف كتابيه " أين الإنسان وأحلام في السياسة " و " كيف يتحقق السلام العام " ، هذان الكتابان يستخرجان حليتين لا بدّ أن تلبسهما الأمم المعاصرة لكي يتحقق الحلم الجميل وهو السلام العالمي ، كان أول مصري بل أول عربي يرشح لجائزة نوبل من أجل كتابيه المذكورين في ١٢/ يناير سنة ١٩٤٠م حيث عدّوه من رواد المصلحين الداعين إلى السلام العالمي .

---

[1] https://shamela.ws/book/٣٨٠١٤/٣٠٤ p١

[2] https://shamela.ws/book/٣٨٠١٤/٣٠٥ p١

مريم جميلة : نموذج رائد للمرأة المسلمة في مواجهة الاتجاهات المعاصرة

بقلم : الباحثة حراء سفيان *

رحلة مريم جميلة إلى الإسلام :

ولدت " مارجريت ماركس " في مدينة نيويورك سنة ١٩٣٤م لأبوين يهوديين من أصل ألماني . وكان والداها هربرت ماركس وماركس ، قد تخليا عن الديانة اليهودية التقليدية ، واعتنقا " اليهودية المجددة " التي صاغها فلاسفة التجديد اليهود لكي تتسق مع الثقافة العلمانية الأمريكية المسيطرة في مجتمعهم . وكانت " اليهودية المجددة " تمثل مرحلة أولية على الطريق إلى الإلحاد [١] ، وبالتالي ، لتكاملهما بشكل أفضل في المجتمع الأمريكي ، اختارا الانضمام إلى الكنيسة التوحيدية ، على خطى ابنتهما الكبرى ، بيتي ، وزوجها ، والتر [٢] ، ومع ذلك ، لم تكن مارجريت تظهر أي اهتمام في اعتناق المسيحية [٣] ، وكان لطريقة نشأتها في تلك البيئة المتلوثة بركام الجاهلية دليل على عناية الله تعالى بها . وهي لم تذق الخمر في حياتها ، ولم تلتق بالرجال ، ولم تحضر حفلات القوم ، وكل هذا عجيب من مثلها ، وكانت وهي في طفولتها تحضر الدروس التي تقيمها مدرسة الأحد اليهودية [٤] دراسة الجمعية الثقافية الأخلاقية أبعدتها عن الدين [١] ، بقيت ملحدة لفترة

---

* قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة عليكره الإسلامية ، الهند .

[١] الدكتور عبدالرحمن ، جاذبية الإسلام الروحية لماذا أسلم هؤلاء ؟ ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ٢٠٠٩م ، ٤٧ .

[٢] Maryam Jameelah, Memories of Childhood in America: The Story of One Western Convert's Quest for the Truth (Lahore: Mohammad Yusuf Khan, ١٩٨٩), ٢٠٨.

[٣] Maryam Jameelah, Western Civilization Condemned by Itself: A Comprehensive Study of Moral Retrogression and Its Consequences, ٢ vols., vol. ١ (Lahore: Mohammad Yusuf Khan, ١٩٧١),١١.

[٤] ذاكر الأعظمي ، مريم جميلة : المهاجرة من اليهودية إلى الإسلام ومن أمريكا إلى

من الوقت ، لكن محاضرة الحاخام كاتش (إبراهام إسحاق ١٩٠٨ – ١٩٩٨م) ، العالم المعروف باللغتين العبرية والعربية ، أعادت إليها الاهتمام بالدين [٢] ، وتسمع الحاخام وهو يخبرهم بأن العرب واليهود هم أولاد إبراهيم الخليل – عليه وعلى نبينا أفضل الصلوات وأتم التسليم ، فصارت تتمنى أن تذهب إلى فلسطين لرؤية أولاد عمها والاجتماع بهم ، ثم إنها صدمت بعد ذلك يوم رأت أبويها يحتفلان بقرار التقسيم سنة ١٩٤٧م ، ويجمعان التبرعات لإقامة الدولة المسخ ، ثم يحتفلان بانتصار اليهود سنة ١٣٦٧هـ الموافق ١٩٤٨م ، فصارت تناقش أبويها بقوة في إقامة دولة اليهود على أحزان العرب وآلامهم ، فعجبا من كلامها . ومن المفارقات العجيبة أن رئيس وزراء إسرائيل السابق " بن جوريون " كان لا يؤمن بإله معلوم له من الصفات الذاتية ما يجعله فوق الطبيعة ، ولا يدخل معابد اليهود ولا يعمل بالشريعة اليهودية ، ولا يراعي العادات والتقاليد ، ومع هذا فإنه يُعتبر لدى الثقات عند اليهود التقليديين أحد كبار اليهود في العصر الحاضر ، كما أنَّ معظم زعماء اليهود يعتقدون أن الله وكيل للعقارات ، يهبهم الأرض ويخصهم بها دون غيرهم !!

كل هذه التناقضات جعلتها تكتشف زيف اليهود سريعاً ، واكتشفت أيضاً حقد العلماء اليهود على المسلمين وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لذا كانت الهوة تتسع مع مرور الوقت ، ويزداد النفور كلما اقتربت وتعمقت في أفكارهم [٣] .

منذ أن كانت في العاشرة من عمرها ، كانت تهتم بقراءة كل ما يمكنها الحصول عليه عن العرب . وخلال فترة مراهقتها ، تكونت لديها قناعة راسخة بأن الإسلام هو سر عظمة العرب ، وليس العكس . وعندما اشتاقت للتعرف الكثير على هذا الدين الذي غير العرب بشكل كبير ، أصابها مرض مفاجئ في الصيف عام ١٩٥٣م منعها من الذهاب إلى الجامعة لمدة عام كامل . خلال فترة مرضها ، طلبت من والدتها أن

باكستان ، دمشق ، دار القلم ، ٢٠١٠م ، ١٤ .

١ Maryam Jameelah, Islam Versus the West (Lahore: Mohammad Yusuf Khan, ١٩٨٤),٢.

٢ Maryam Jameelah, Islam and Modernism (Lahore: Mohammad Yusuf Khan & Sons, ١٩٨٨),١١.

٣ المرجع السابق ، ذاكر الأعظمي ، ١٥ .

تحضر لها ترجمة لمعاني القرآن من مكتبة عامة . وهكذا بدأت قصتها مع الترجمات . أول ترجمة وقعت في يديها كانت لجورج سيل ، المنصر الإنجليزي من القرن الثامن عشر . وجدت نفسها تنفر من هذه الترجمة بسبب لغتها الركيكة ومحاولات سيل الطعن في مفسري القرآن مثل البيضاوي والزمخشري من خلال هوامش مطولة ومملة . كانت صدمة كبيرة للفتاة البالغة من العمر تسعة عشر عاماً أن تجد القرآن هكذا في ترجمة سيئة ومعادية . كادت أن تنفر من القرآن ذاته ، لولا أنها عثرت يوماً على طبعة رخيصة من ترجمة محمد مارماديوك بكتال ، الإنجليزي الذي اعتنق الإسلام . استراحت مريم جميلة لترجمة بكتال ، وأعجبت ببلاغة وسلاسة اللغة الإنجليزية فيها . وزاد تمسكها بهذه الترجمة عندما قارنتها بترجمات أخرى ، وجدت أنها تبتعد عن نقل حلاوة القرآن وتفسير معانيه بشكل دقيق ، وتتجه بدلاً من ذلك إلى الاعتذار والتبرير ومحاولة مواءمة مفاهيم القرآن مع بعض الأفكار الفلسفية والعلمية المتغيرة . من بين هذه الترجمات التي لم ترتح لها نفسها كانت ترجمة يوسف علي ، ومحمد علي اللاهوري ، وعبد الماجد الدريابادي . من حديث مريم عن الترجمات ، يتضح أنها كانت تدخل إلى الدين بحماس ويقظة وغيرة . كانت تبحث عمن ينقل حلاوة ودقة اللفظ والمعنى القرآني ، وترفض من يفقد الثقة في دينه إلى حد يلجأ فيه إلى تطويع معاني القرآن لأفكار الغربيين تقرباً منهم ، ظناً أن ذلك سيحوز رضاهم وتقبلهم . ولكن تجربة مريم أظهرت أن المدخل الصحيح هو الاعتزاز بالإيمان وصدق الإخبار عن القرآن والدين ، وليس التلاعب فيهما بحجة جذب الغربيين إلى الإسلام . فالصدق هو السبيل الوحيد للدعوة إلى دين الحق [1] .

ثم إنها عثرت في مكتبة نيويورك العامة على كتاب مشكاة المصابيح مترجماً إلى الإنجليزية ، وهو كتاب في الحديث النبوي الشريف ، فعكفت عليه حتى فرغت منه . ولو سألنا طلاب العلم منا اليوم ومثقفينا عن هذا الكاتب فلربما جهلوا عنوانه ، فدع عنك قراءته ، ومن رحمة الله بها أنها اطلعت على هذا القدر الكبير من الأحاديث في مرحلة

---

[1] د . محمد يحيى ، رحلتي من الكفر إلى الإيمان ، القاهرة ، المختار الإسلامي للطبع والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٨م ، ٢٢ .

مبكرة ، فهذا الاطلاع الواسع حماها من القرآنيين (الذين يزعمون أنهم يأخذون بالقرآن فقط) وضلالاتهم ، واستطاعت أن تفهم الإسلام فهماً جليلاً باطلاعها على مصدريه ، والاغتراف من معينهما . واصلت مريم دراستها الجامعية في جامعة نيويورك . كلية الآداب ، لكنها مرضت فانقطعت عن الدراسة سنتين ، وتناوشتها الوساوس في مرضها من كل جانب حتى كادت تلحد ، لكن الله تداركها بمزيد من القراءة والاطلاع ، والعجيب أنها استطاعت بهمتها ودأبها أن تتصل بشخصيات إسلامية رفيعة القدر في عصرها ، فقد أرسلت للبشير الإبراهيمي في الجزائر ، وسعيد رمضان في جنيف ، ومعروف الدواليبي في سوريا ، والأستاذ سيد قطب في سجنه بالقاهرة – رحمة الله عليهم جميعاً [1] . تلقت مريم جميلة توجيهاً من الأستاذ سعيد رمضان لمراسلة الأستاذ سيد قطب وشخصيات أخرى ، ولكن التحول الرئيسي في حياتها كان اتصالها بالأستاذ أبي الأعلى المودودي بعد قراءة مقالة له في مجلة إسلامية بجنوب إفريقيا . أعجبت بالمقالة وأرسلت رسالة إلى المودودي في باكستان ، وتلقت رداً بعد شهرين ، مما أسعدها . استمرت المراسلات بينهما ثلاث سنوات .

اعتنقت الإسلام في عام ١٩٦١م في نيويورك على يد إمام مسجد بروكلين ، داود فيصل ، وسمت نفسها مريم الجميلة . واجهت تحديات كثيرة بعد إسلامها ، مثل النقاشات الساخنة في المسجد حول جمال عبد الناصر وكمال أتاتورك . بسبب الضغوط ، قررت الهجرة إلى باكستان بناءً على نصيحة الأستاذ المودودي الذي طمأن والديها . غادرت نيويورك في عام ١٩٦٢م ووصلت إلى لاهور حيث استقبلها الأستاذ المودودي وأقامها في بيته لمدة سنتين . تزوجت من محمد يوسف خان ، أحد أتباع المودودي ، وهو كان متزوجاً ولديه خمسة أولاد . عاشت في لاهور مع زوجها وضرتها ، وأنجبت ابنين وابنتين واثني عشر حفيداً . كانت سعيدة بحياتها في لاهور ، ولم تفكر في العودة إلى أمريكا [2] . في صباح الأربعاء ٣١ أكتوبر ٢٠١٢م ، توفيت مريم جميلة في لاهور ، باكستان ، عن عمر ٧٨ عاماً . وصُلّي عليها في حي " سنت نكر " بعد صلاة العصر ودُفنت في المقبرة المحلية .

---

[1] المرجع السابق ، ذاكر الأعظمي ، ١٦ .

[2] المرجع نفسه ، ذاكر الأعظمي ، ١٧ – ٢١ .

تلك كانت " مريم جميلة " ، ذاك النموذج الفريد للمرأة التي بحثت عن الحقيقة وصبرت وثابرت حتى عرفت الطريق إلى الله ، وعلمت أن حياة المرء إما له وإما عليه ، فاضطلعت بدورها في الحياة كامرأة مسلمة تدعو إلى الله ، وتقاوم شريعة المبطلين ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً . مريم جميلة كانت تقول بصراحة ما تراه خطأً وفقاً للقرآن والسنة وتعلن ما تعتبره حقاً . دافعت عن الإسلام بإخلاص وتفانٍ نادر .

مريم جميلة وأفكارها الإسلامية :

مريم جميلة نشأت في الغرب ، وكانت على دراية تامة بالفساد الذي يميز الحضارة الغربية ، ولهذا كانت تعارض بشدة أولئك الذين يعتقدون أن وضع المرأة في الإسلام هو أقل من وضع المرأة في الغرب . كانت تؤمن بشدة بأن مكانة المرأة في الإسلام ليست أقل من أي مكانة ، ولكنها كاملة وكريمة من جميع النواحي . وكانوا يهتفون بشعار المساواة بين الرجال والنساء ، ويريدون إظهار أن الإسلام قد أبقى المرأة كسجينة عن طريق الشفقة على حال المرأة في الإسلام . عملت بشكل خاص على تسليط الضوء على هذه المواضيع ، التي يتم انتقادها في كثير من الأحيان من قبل أعداء الإسلام ، مثل الولاية في الزواج ، وتعدد الزوجات ، والطلاق ، والحجاب ، وما إلى ذلك .

وقد انتقدت مريم جميلة بشدة العالم المصري قاسم أمين بقولها : " كان قاسم أمين أول مسلم في التاريخ يشن حملة ضد الحجاب . ما فعله قاسم أمين كان قبول جميع هجمات المبشرين المسيحيين دون أن يهتم أبداً بالتحقيق في الوضع الحقيقي للمرأة المسلمة بعقل مفتوح وغير متحيز .

قامت مريم جميلة ببذل كل جهدها من خلال كتاباتها لإبراز هذه الحقيقة ، ألا وهي أن العديد من الحركات التي نشأت من أجل مساواة المرأة قد نشأت لتقويض الإسلام والمجتمع الإسلامي . ينبغي للنساء المسلمات فهم هذا جيداً وعدم الانجراف مع تيار الحضارة الغربية ، بل الالتزام بتعاليم الإسلام . مريم جميلة تنتقد الحركة النسوية بقولها : " النسوية هي منتج غير طبيعي واصطناعي وغير طبيعي للاضطراب الاجتماعي المعاصر الذي بدوره هو نتيجة لا مفر منها لرفض جميع القيم الروحية والأخلاقية العلوية المطلقة . يمكن لطالب علم الإنسانية والتاريخ أن يكون متأكداً من غير الطبيعية لحركة النسوية ، لأن جميع الثقافات البشرية التي نعرفها عبر

العصور ما قبل التاريخية والتاريخية تجعل تمييزاً واضحاً ومحدداً بين " الذكورية " و " الأنوثة " وتنمذج الأدوار الاجتماعية للرجال والنساء وفقاً لذلك " [1] ، أوضحت مريم جميلة بشكل مفصل مؤيدي الحركة النسوية بطريقة ممتازة : " من وجهة النظر الإسلامية ، مسألة المساواة بين الرجال والنساء لا معنى لها . إنها كأن تناقش مساواة الوردة بالياسمين ، حيث لكل منهما عطرها ولونها وشكلها وجمالها الخاص . الرجال والنساء ليسوا متماثلين ؛ لكل منهما ميزاتها وخصائصها الفريدة . النساء لسن مساويات للرجال ، وكذلك الرجال ليسوا مساويين للنساء . الإسلام يصور أدوارهم في المجتمع على أنها تكاملية وليست تنافسية ، حيث لكل منهما واجبات ومهام تتناسب مع طبيعته وتكوينه " [2] .

الخاتمة :

أفكار مريم حول قضايا مثل دور الرجال والنساء في المجتمع ، الاختلاط بين الجنسين ، والطلاق ، وتعدد الزوجات ، والحجاب عكست فهماً عميقاً يستند إلى المبادئ الإسلامية . دعت إلى الحياء والفصل للحفاظ على القيم الإسلامية ، وسلطت الضوء على تعاليم القرآن فيما يتعلق بالزواج والطلاق ، وأكدت الأدوار المكملة للرجال والنساء في المجتمع ، ودعمت ممارسة تعدد الزوجات ، وروجت للحجاب كرمز للحياء والتقوى . انتقدت النسوية لتركيزها على معايير المساواة الغربية على حساب التعاليم الإسلامية ، وركزت على تأثيرها السلبي على هياكل الأسرة والمعايير الاجتماعية ، ودعت إلى تحرير المرأة من خلال المبادئ الإسلامية بدلاً من الأيديولوجيات الغربية ، وجادلت ضد النسوية كشكل من أشكال الإمبريالية الثقافية الغربية .

تجسدت حياة مريم في قوة الإيمان والمعرفة في مواجهة التحديات المجتمعية المعقدة ، مقدمة درساً خالداً عن القوة المتمثلة في التفاني الثابت لمعتقدات الفرد . الإسلام الرجل قواماً على المرأة حتى لا تشعر بالخوف أو بالضعف . فهمت مريم جميلة تعاليم الإسلام وطبقتها في حياتها ، وحثت جميع النساء على السير على نفس النهج .

---

[1] المرجع نفسه ، ٤٤ .

[2] المرجع نفسه ، ٤٠ – ٤١ .

رحلة إلى الأردن بين المقدسات والمعالم

(الحلقة الثانية)

الأخ السيد عبد العلي الحسني الندوي *

الجيل الجديد :

كنا نتجول في شوارع وسط البلد قرب المسرح الأثري الروماني الشهير للبحث عن فندق مناسب ، ونلاحظ في غضونه عجائب معمارية تذكارية سحيقة تم بناؤها في مختلف العصور القديمة الرومانية والبيزنطية ، وفي حقبة أموية من العصور الإسلامية الوسطى ، ومع ذلك نشاهد الجيل الجديد الذي تمت نشأته وتطوره تحت وطأة البيئة المتجردة عن الدين وقيمها ، وكأن آباءها ألقوا أبناءها دون وعي وتفكير في حجر العدو المحتال الذي يخطط دائماً مؤامرات دسيسة لاختطاف دينهم المتين الذي لا يعتريه تغيير أو تطوير ، ويتربص فرصاً للانتزاع منهم فطرتهم السليمة التي لا يستغني عنها ملك ولا فقير ، ثم إن هذا الجيل الجديد مستتب ليقع فريسة لمكايد الأعداء دون أن يردها إلى نحورهم ، ومستعد لأن يكبر كل شيئ غربي وأن يخضع لكل مدنية أجنبية لمجرد كونها أجنبية وقوية وبراقة من الناحية المادية ، فنرى عياناً أن كثيراً من جوانب الحياة الفردية والجماعية اتخذ فيها الفتيان والفتيات من الأمة المحمدية الحنيفية السمحاء نماذج الغرب الدنيئة الركيكة نمطاً لعيشتهم الرغيدة وقدوة لحياتهم المادية يمثلونها ويحتذون بها ويتباهون ويتخبطون في سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً فوجد الله عنده فوفاه حسابه .

هذا ، وفي ناحية أخرى سررنا بوجود عدد كبير من الشباب والشيوخ الذين يقدمون حياتهم لخدمة الدين ويقومون بواجباتهم الدينية حسن القيام ويضطلعون بمسؤولية الدعوة إلى الله وينخرطون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويلعبون دوراً هاماً في التصدي لأزمة الدين والأخلاق ، وهي أزمة الأزمات وكارثة الكوارث ومصيبة المصايب ، وأي مشكلة يتحدث الناس عنها واشتكوا منها ويتأفف بها أهون وأخف منها

* نجل الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي .

خطراً وضرراً .

فمن خلال استعراض الفنادق الرخيصة ومشاهدة التناقضات العجيبة في أنماط الحياة الحديثة في هذه الدولة الإسلامية العريقة بين الذين يوطدون علاقتهم بالدين الوثيق ويرسخون إيمانهم برسالته المتلألئة في أعماق الأرواح والأفئدة ومن توهنت ثقتهم بحقيقة الإيمان واندثرت عنايتهم بمقتضياته الصريحة الناصعة استعرضنا مبنىً قديماً من طابقين يستخدم طابقه الأرضي للمتاجر والمطاعم التقليدية وفي شقة في الطابق العلوي تعيش امرأة مسنة كريمة ، وكانت تستخدم الغرف الشاغرة في شقتها كالفندق ، فتفاوضنا معها لحجز غرفة واحدة للأيام الثلاثة وبعد شيئ من المساومة الروتينية توصلنا للموافقة على حجز الغرفة التي نريدها في أسعار رخيصة ملائمة بالنسبة للفنادق الفاخرة الأخرى في المنطقة ، فنزلنا فيها مرتاحين ، ووضعنا أمتعتنا وتنفسنا صعداء بعد الرحلة الطويلة المستمرة التي كانت محتوية على أكثر من يوم كامل ، وقطعنا من خلاله مسافة أبعد من ١٥٠٠ كلومترا .

أصحاب الكهف :

ولكن رغم شيئ من التعب والعناء مراعاةً لإقامتنا القصيرة في هذا البلد التاريخي حشدنا قوانا وشمرنا عن ساق الجد تواً دون تضييع الفرص المتاحة لزيارة مكان تاريخي خطير شهد به أفضل الكتب المنزلة من الله تحت أديم السماء ، وسجل ذكره في إطار ذكر مجموعة من نجوم الهداية الربانية وجبال الاستقامة الروحانية الذين تألقوا برهة إيمانية نورانية سعيدة من الزمن في سماء الدنيا المظلمة القاتمة حيال الحكومة الكافرة الغاشمة والحاكم الجابر المتسلط حتى واراهم الله سبحانه وتعالى وأنامهم في كهف من الكهوف لمدة ٣٠٩ سنوات في التقويم القمري ما يعادل ٣٠٠ في التقويم الشمسي ، وقال : (وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلاث مِئة سنِينَ وَٱزْدَادُواْ تسْعاً) فاستحقت هذه الجماعة ، لتوحيد الله عز وجل وَالإيمَان به والاعتزال عن العيال والقوم لإيثار حب الله الخالص والتفاني فيه ، الذكر الخالد في كلام الله المعجز ، وتكفل الحفظ والحماية واللبث الخارق للعادة في حالة النوم لمئات من السنين في الكهف الذي آواهم الله سبحانه وتعالى فيه وقال : (وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ ٱللَّهَ فَأْوُواْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَته وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مِّرْفَقــاً) فأصبحت هذه الفتية المؤمنة آية من آيات الله الظاهرة الباهرة ، المؤيدة لكمال قدرته وجمال رحمته ورأفته ، ولم يكن ذلك مستبعداً من مدبر الكائنات

وفاطر الأرض السماوات ، بل الوقوف مع هذه القصة وحدها في مقام العجب والاستغراب نقض في العلم والعقل ، لأن عجائب آياته وغرائب تصرفاته في الكون لا تعد ولا تحصى " وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها " فوظيفة المؤمن التفكر بجميع آياته والتدبر في سائر مخلوقاته التي دعا الله عباده إلى التفكير فيها ، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة : (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا) .

فإن ما خلق اللّهَ سبحَانَه وتعالَى مِنَ السماوات والأرض وما فيهن من العجائب والغرائب لأعجب من أمر أصحاب الكهف وحجته بكل ذلك ثابتة على المشركين والمنكرين والكافرين المتغطرسين .

في هذا الموكب من الأفكار والتأملات ركبنا في سيارة الأجرة وقصدنا إلى ذلك الكهف الذي رقد فيه الفتية الموحدون ، الفارون بدينهم من الحاكم المشرك المستبد الغاشم الذي يجبر الناس على عبادة الأوثان ولا يهجر أحداً يحتضن التوحيد الخالص والدين السليم إلا وقد عذبه وقتله .

أين يقع كهف " أصحاب الكهف " وأي عهد عاشوه ؟

ولقد تعددت الآراء وتباينت حول تعيين اسم الملك وتحديد عهده الذي وقعت فيه هذه القصة وموقع الكهف الذي لبث فيه هؤلاء الفتية ، أما ما يتعلق بالعصر الذي وقعت فيه القصة فرجح المؤرخون المسيحيون بوجه عام والمؤرخون السراسنة بوجه خاص بأن رقاد أصحاب الكهف كان على عهد الإمبراطور الروماني المعروف باسم " ديسيوس " " Decius " ، وفي المصادر اليهودية لم يورد ذكر لأصحاب الكهف ، ولكن يرى أنه من المرجح عندهم وقوع القصة قبل المسيح عليه السلام ، واستدل أهل العلم على ذلك بما ورد أن اليهود أوصوا بتحدي النبي صلى الله عليه وسلم بسؤالهم عن خبر فتية في غابر الزمان ، ولو كان هؤلاء الفتية من أتباع المسيح لما تساءلوا عنهم ، لما يُعلم من عداء اليهود لأتباع المسيح ، وخاصة في ذلك الزمن ، واستدلالاً بنفس الحديث ذهب بعض علماء أهل الإسلام إلى أن اختباءهم في الكهف كان قبل المسيح عليه السلام ، وتناول بعض الآخرين منهم الروايات المسيحية أيضاً ، وأخذوها بعين الاعتبار ، والله أعلم بالصواب .

وأما ما يتصل بموقع كهف " أصحاب الكهف " فقد ذهب المفسرون والمؤرخون من المتقدمين تأثراً بالروايات المسيحية إلى أنه يقع في مدينة " أفسس " أو " افسوس " المسمى " طرسوس " حديثاً قرب " إزمير "

التاريخية في جمهورية تركيا ، ولكن من ناحية أخرى ، يرجح عدد كبير من الباحثين والأثريين الجدد أن كهف " أصحاب الكهف " هو كهف الرقيم الواقع في قرية الرجيب – قيل : إنه كان يسمى " رقيم " في قديم الزمان – على بعد سبعة كلومترات في شرق العاصمة الأردنية استناداً إلى ما ذكر في القرآن من علامات تنطبق عليه ، ونظراً إلى الدلائل التاريخية والأثرية العديدة الأخرى .

على جبل الكهف :

فهذا هو المكان التاريخي المخلد ذكره في القرآن الذي نتوجه نحوه وانتهينا إليه في بضع دقائق ، ورأينا في أول نظرة مسجداً جميلاً ، شيد على مرتفع من الكهف كنصب تذكاري للموقع بمسافة بضع أقدام منه ، افتتحه الملك عبدالله الثاني الحسين سنة ٢٠٠٦ من الميلاد وبالإضافة ما عدا هذا المسجد الشامخ توجد آثار عديدة أخرى أيضاً للمساجد والمعابد حول الموقع ربما يعود تاريخها إلى العهد الروماني والأموي والأيوبي ، فدخلنا في مسجد عبد الله الحسين وصلينا تحية المسجد وركعتين لصلاة العصر ، وانصرفنا منه إلى الكهف . يقع هذا الكهف في سفح تل الرجيب بارتفاع قليل ، وتلوح آثار المعبد فوق الكهف كما جاء في القرآن : (إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ٱبْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً) وتتراكم حوله آثار المساجد وأنقاض المعابد وينفتح بابه إلى جهة الجنوب ، ولا تتسلل أشعة الشمس داخل الكهف وقتئذ حينما كنا نزوره بل (وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ) ، وكانت الشمس مشرقة زاهية وإن كان ذلك وقت العصر عند زيارتنا هذه .

في داخل الكهف :

دخلنا في الكهف من بوابته المربعة الشكل ، ورأينا فيه سبعة قبور مختومة ، أربعة في اليمين ، وثلاثة في اليسار ، ولسنا على دراية متأكدة من ضبط عدتهم ، ولا مراء فيها إلا ما قال ربنا فآمنا به ، كما جاء في القرآن الحكيم : (سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّى أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَآءً ظَاهِراً وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِّنْهُمْ أَحَداً) ، وفي أحد القبور توجد فتحة مغطاة بالزجاج توضع فيها قطع عديدة من عظام بشرية مرعبة تعزو إلى أصحاب القبور – والله أعلم بالصواب – .

ورأينا أباريق الوضوء وحجراً أثرياً منقوشاً عليه الآي القرآنية ، وقد عثر على كل ذلك في العهد الأموي والعباسي وتوجد بين القبور مساحة قليلة تمتد إلى الوراء وتتسع : ويقال : إنها " فجوة " كانوا منها نائمين كما صرح به جل وعلا (وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ) وقفنا هناك لحظات نسلم على أهل القبور ، وندعو لهم ثم خرجنا من الكهف دون تأجيل لأنه كان محتشداً ومكتظاً بالسياح والزوار ، وما زالوا يتوافدون أفواجاً ، الجو خارج الكهف بهيج للغاية لوقوعه على سفح الجبل ، وتمكننا من هذا الارتفاع – وإن لم يكن الجبل شاهقاً – من التطلع نحو البيوتات الجميلة على الأرض المنحدرة ، والإطلال عليها على حافة غروب الشمس يقدم لنا مشهداً خلاباً ومنظراً جذاباً فكنا بروعة الطبيعة وحسن تصميم المنطقة مشدوهين إذ نودي من طرف نداء فالتفتنا إليه فكان رجل يعلن انتهاء الوقت لليوم فرجعنا من الموقع إلى فندقنا .

العودة إلى الفندق ، والصلاة في مسجد تاريخي :

حان وقت صلاة المغرب إذ وصلنا إلى الغرفة فصلينا في المسجد الجامع الحسيني الشهير الذي نسب إلى الحسين بن علي شريف مكة ، الذي قاد ثورة القومية العربية الكبرى بدعم من الانتداب البريطاني ضد الدولة العثمانية في مطلع القرن العشرين الميلادي ، أسس هذا المسجد على أنقاض مسجد يعود إلى عصر الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله سبحانه وتعالى عنه سنة ١٩٢١ من الميلاد ، هذا المسجد من أكبر المساجد في عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية ومن أقدمها أيضاً ، صلينا فيه وانصرفنا منه إلى الفندق واسترحنا قليلاً ، وكان أحد رفيقي الرحلة مجهوداً مكدوداً من مكابدة مشاق السفر الطويل ولا يتحمل تعزيز المشقة وتضاعف الضنك ، فأبقيناه يستريح ويبحث على شاشة جواله مطعم المأكولات الوطنية الشهيرة بقرب الفندق للعشاء .

إلى المسرح الروماني :

اعتزمت أنا ورفيقي عفان سياحة المعلم التاريخي الشهير الذي يقع بمسافة يسيرة منا ، فخرجنا من الفندق وأخذنا الطريق إلى المسرح الروماني ذائع الصيت ومنتشر السمعة ، كنا نمشي إليه على الطرق المزدحمة من بين المحلات التجارية التقليدية ومطاعم الوجبات السريعة التي انتشرت موضتها في جميع دول الشرق الأوسط في الفترة الأخيرة من زمننا هذا ، ووجدت عمان متقدمة بخطوة في هذا الصدد ، في أثنائها

وصلنا إلى المسرح ، والمسارح الأثرية وأطلال القصور والحصون والمدارج التاريخية مثل هذا المسرح الذي نزوره منتشرة في أرض الشام بأكثر المحافظات في شمال المملكة الأردنية وجنوب سوريا ، والتي يعود تاريخها إلى القرن الثاني الميلادي إبان عهد الامبراطورية الرومانية ، ولعل هذه القصور والمدارج هي التي أضاءت حين مولد النبي صلى الله عليه وسلم حينما وضعته أمه كما جاء في الحديث : " ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بُصرى من أرض الشام " . رواه ابن إسحاق . وفي رواية أن قصور الشام كلها أضاءت بحمله وبمولده صلى الله عليه وسلم ، وكان النور ببصرى أتم . قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله : " وأما إضاءة قصور بصرى بالنور الذي خرج معه فهو إشارة إلى ما خص الشام من نور نبوته على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

وقال البوصيري رحمه الله :

وتراءت قصور قيصر بالروم يراها من داره البطحاء

دخلنا في المسرح الذي يعد ويعتبر من أكبر وأفخم المسارح الرومانية في المملكة ، والذي يقع في الجزء الشرقي من العاصمة على إحدى التلال المقابلة بقلعة عمان ، هذا المسرح هي ساحة محاطة بمدرجات نصف دائرية أو بيضاوية يحوي أربعة وأربعين صفاً وحجرة حجرية خاصة فوق المدرج للأوثان التي يعبدها الروميون ، كانت المقاعد الأولى مخصصة لعلية القوم وكبار الشخصيات من الملوك وملأهم بينما كانت الصفوف الأخرى تستعمل للجماهير العامة ، وكانت المدارج الرومانية عامة في العهد القديم تستخدم للعروض المسرحية والغنائية ومعارك المصارعين البارزين ومصارعة الحيوانات والصيد وغير ذلك من عمليات الظلم والاستبداد والاضطهاد ، ولكن يقال : إن هذا المدرج لم يستعمل إلا لعروض مسرحية وغنائية والله أعلم بالصواب ، تجولنا فيه لدقائق حتى بلغ منا السأم والملل مبلغاً ، وخرجنا منه مرهقين وبادرنا إلى الفندق دون إرجاء ، وكان الأخ أحمد صديق ينتظرنا فتعشينا معاً في المطعم الأردني الشهير وجبة عشاء لذيذة طرية ، وأنا دائماً أرغب في الأطعمة العربية لتقليل استهلاك التوابل والبهارات فيها وتزويدها بوفرة اللحوم وزيت الزيتون ، فأكلنا وشبعنا واستمتعنا وحمدنا الله وشكرناه على نعمه وآلائه أولاً وآخراً .

(للحديث بقية)

إعلان الاستقلال وانعكاساته على سلامة العالم

محمد فرمان الندوي

زار البابا فرنسيس إندونيسيا في بداية شهر سبتمبر عام ٢٠٢٤م ، وذلك لأحد عشر يوماً ، وكانت الزيارة لأربع بلدان في جنوب شرق آسيا : إندونيسيا ، بابوا غينيا الجديدة ، وتيمور الشرقية ، وسنغافورة ، لكن كانت بدايتها من إندونيسيا ، وكانت إقامته في إندونيسيا لثلاثة أيام ، وقد حضر اجتماعه بأكبر ملاعب جاكرتا أكثر من مائة ألف ، رغم أنه كان يُرجى حضور ستين ألفاً فقط ، ولقي البابا فرنسيس البالغ من العمر ٨٧/ عاماً ، في هذه الزيارة إمام مسجد الاستقلال الدكتور كى ايج نصر الدين عمر ، فترأس اجتماعاً للحوار بين الديانات ، نظمته هيئة مسجد الاستقلال ، وكان فيه ممثلو الإسلام ، وبوذا ، والكونفوشس ، والهندوسية والكاثوليك ، والبروتستانت ، كل واحد منهم أبدى في هذا الاجتماع رأيه ، وكانت في الأخير كلمة البابا فرنسيس .

إعلان الاستقلال :

وقال البابا في كلمته : إن الكنيسة الكاثوليكية ستعزز جهودها لإجراء حوار بين الأديان ، يهدف المساعدة في مواجهة التطرف ، وبهذه الطريقة يمكن إنهاء التحذيرات وتحقيق بيئة من الثقة والاحترام المتبادل ، وهذا أمر لا غنىً عنه في مواجهة التحديات المشتركة ، التي تحاول من خلال تشويه الدين فرض آرائها ، باستخدام الخداع والعنف ، وقد شجع البابا جميع سكان إندونيسيا على البحث عن الله ، والمساهمة في بناء مجتمعات مفتوحة ، تقوم على الاحترام المتبادل والمحبة ، والوقوف ضد الصلابة والتطرف ، وقال إمام المسجد الأكبر الدكتور نصر الدين عمر في كلمته : لدينا رسالتان مهمتان : الأولى هي أن الإنسانية واحدة فقط ، والثانية عن كيفية إنقاذ بيئتنا ، والموضوعان مهمان جداً اليوم ، وسُميت هذه الكلمة بإعلان الاستقلال ، نسبةً إلى مسجد الاستقلال بإندونيسيا .

إن زيارة البابوات المسيحية للبلدان والأمصار ليست جديدةً من نوعها ، فإنهم يزورونها حيناً لآخر وفقاً لمصالح شتى ، لكن هذه الزيارة لبابا الفاتيكان في إندونيسيا تمت بعد أكثر من ثلاثين عاماً ، وقد كانت الزيارة الأولى لبابا الفاتيكان السابق عام ١٩٧٠م ، ثم كانت زيارة ثانية له عام ١٩٨٩م ، وقد ثبت من الإحصائيات العالمية أن عدد سكان إندونيسيا ٢٨٠/ مليوناً ، ويشكل المسلمون ٨٧ في المائة ، وتعتبر المسيحية ديانةً ثانيةً في البلاد ، ويعيش سكان جميع الديانات في هذه البلاد بهدوء وطمأنينة ، ورحابة صدر وحصافة عقل ، لا تنشأ هناك مناوشات داخلية كما تنشأ فينة لأخرى في بلدان مختلفة ، ويوجد في هذه البلاد التعايش السلمي والتسامح المتزايد بين جنسيات مختلفة للبلاد ، ورغم ذلك كله أن زيارة البابا هذه تعزز العلاقات الثنائية بين ديانات البلاد ، وتنشر في معتنقيها النصح والمواساة والخير ، وتزيد فيهم المحبة والألفة ، وهذا دليل على أن هذا العصر الذي تتأجج فيه نيران الحروب في البلدان الكثيرة ، ولا تزال تتوسع دوائرها تحت رقابة الدول التي تتولى زمام الأمور كلها في أيديها ، هناك رموز دينية ، وأيقونات بارزة ، وشخصيات روحية لا تزال تأخذ أمور الحروب بجدية ، وتستنكرها استنكاراً شديداً ، وتصدر ضدها قرارات وتوصيات ، وتهتف ببياناتها وكلماتها أن الحرب لم تكن حلاً أبداً لأي قضية ، بل ظلت الحرب دائماً قضية شائكة ، فلا بد من إيقاف الحرب والاشتباك في أي مكان .

نفخة في رماد :

لكن ينشأ هناك تساؤل أن هذه الأمور السلمية التي أراد بابا الفاتيكان إثباتها على أرض إندونيسيا ، وقد شرحها شرحاً وافياً لا غموض فيها ولا خفاء ، أمام الإندونيسيين الآمنين المتسالمين ، هل كانت إندونيسيا في حاجة إليها ، وهل حدثت هناك مناوشات داخلية بين ديانات مختلفة ، أو أثار أحد مواطنيها قضية التطرف والخداع والعنف التي يرد عليها البابا رداً شديداً ، كلا ، فلا يمكن مدى تلمس الأهداف والغايات التي توخاها البابا من خلال كلماته وجولاته في برامج مختلفة بإندونيسيا ، إن هذه البيانات كانت جديرةً بأن توجه إلى هيئة الأمم

المتحدة التي كان إنشاؤها بعد الحرب العالمية الثانية لإيقاف الحرب وحفظ الأمن والسلام ، وإنماء العلاقات الودية بين الدول ، وحل المشكلات الدولية ، وفض الخلافات ، وكان الهدف من ورائها أن لا تتكرر أحداث هيروشيما وناجاساكي في اليابان ، لكن هذه الهيئة أصبحت عميلةً للولايات المتحدة ، أو سمساراً لإسرائيل ، إنها تصدر بيانات الشجب والاستنكار على أحداث العالم ، وتكون مكتوفة الأيدي أمام القوى الكبرى ، فكان من اللازم أن يجتمع أبرز الشخصيات الدينية ، وممثلو الديانات في العالم في أوربا وأمريكا ، ويناقشوا أوضاع العالم كله ، ثم يصدروا قرارات أمنيةً للعباد والبلاد ، هذا يكون آنذاك ذا تأثير إيجابي وفعالية كبيرة في تطبيع الأوضاع ، وتهدئة الظروف ، لأن الرموز الدينية مازالت ذات قدسية واحترام في كل ديانة ، وينقاد عامة الناس وخاصتهم لآرائهم ، ويمشون وراءهم ، ويمتثلون أوامرهم ، فلا يكون هذا الاقتراح نفخةً في رماد أو صيحةً في واد ، بل تأتي له نتائج حسنة ، وثمار طيبة ، وبالعكس من ذلك أن شخصية دينية منحازة إلى ديانة خاصة إذا تناولت القضايا العالمية ، وخاضت فيها ، وقدمت فيها اقتراحاتها وتجاربها ، وتمنت أن تتغير الأوضاع والظروف ، وتكون هي مؤثرةً في قلب النظام ، فلا أدري أنها كم تحمل قيمةً لدى القوى الكبرى العالمية ، ويمكن أن تقوم الحجة على الناس ، لكن لا تأتي لها نتائج مرجوة ، فكان الأولى والأهم أن يجمع بابا الفاتيكان رموزاً دينيةً من العالم كله ، ويطرق عليهم موضوع نشر الأمن والسلامة في العالم ، أما زيارة الدول الأربع في دول شرق آسيا ، وإبداء آراء سلمية نحو البلدان على انفراده ، فهذا لا يسمن ولا يغني من جوع .

متى يكون الحوار مجدياً ؟

موضوع الحوار والتفاوض بين الديانات جرى عليه الإسلام في فجر تاريخه ، وهو وسيلة مؤثرة لحل المشكلات ، وحل الخلافات إذا كانت غاية الفريقين تفاهماً مشتركاً ، وقد دعا إليه القرآن الكريم أهل الديانات المختلفة للموافقة على نقاط التعاون والتسامح ، فالوحدة لا تتحقق أبداً مائةً في المائة ، لأن الخلاف طبيعة من الطبائع ، وسنة من سنن

الله تعالى ، لكن ركائز التعاون والتعاضد هي التي تقوي الجماعات والمجتمعات ، وتحكم أواصر الحب والمودة بين الناس ، وقد بيّن الإسلام هذه الركائز في قول الله تعالى : (قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [آل عمران : ٦٤] ، وهذه البنود تتضمن صيانة الأموال والأرواح ، والضيعات والممتلكات ، وكلما كان الحوار على هذه الركائز والعناصر كان مبعث خير كثير ، وسلامة تامة .

وفي هذه الأيام (في شهر سبتمبر ٢٠٢٤م) تستمر الحوارات والتفاوضات في الدورة التاسعة والسبعين في الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وقد حضرها رؤساء الدول وممثلوها ، وهم يدلون بآرائهم ، ويظهرون شجبهم وتنديدهم لمحرقة غزة وإبادة سكانها جماعياً ، حتى وجه رئيس تركيا رجب طيب أردوغان انتقادات لاذعة إلى إسرائيل ، والدول الداعمة لها ، وقال بكل صراحة : الأمم المتحدة والقيم الغربية ماتت في غزة ، وأن نتنياهو مثل هتلر ، وقال على زيارة نتنياهو الأمم المتحدة : إنها وصمة عار وشنار في تاريخ الأمم المتحدة ، وهل يُسمح له بالحضور في هذه الجمعية ، هكذا أبدى رؤوساء الدول تنديداتهم على قضية غزة ولبنان ، لكن لا تحرك هذه الكلمات سواكن الزعماء والقادة ، الواقع أن الحوار والمفاوضة لا يجدي شيئاً في هذه الأمور ، لأن الحقد والضغينة التي يحملها المناوئون لا يرضى بهذه الاقتراحات ، يقول الشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي في مقاله حول : الحوار لا يُجدي إلا إذا كان بين فرقاء متساوين : " لقد ظهرت دعوة الحوار في عام ١٩٧٧م للمؤلف الفرنسي روجيه جارودي قبل إسلامه ، ولكن دعوة الحوار وإن كانت تطابق طبيعة العصر الذي يدعو إلى التفاوض لحل المشاكل ، لم تنل القبول ، لأن الغرب لم يكن مستعداً للحوار مع المسلمين ، لأنه ورث الحقد للإسلام ، ولا يريد أن يتخلى عن هذا الإرث ، ولأن المكتبة الغربية معمورة بمؤلفات الحاقدين للإسلام ، ولا يمكن تغيير التفكير إلا بتصفية هذه الأكداس الملوثة ، وعلى عكس هذه الدعوة شاعت دعوة صدام الحضارات لصمويل هنغتون ، فأقبلت الأقلام الغربية على بحثها ، لأنها كانت تلائم طبيعة تفكير الغرب وموقفه إزاء الإسلام والحضارة الإسلامية " (إلى نظام عالمي جديد : ٣٠٥) .

قراءة في كتاب

موسوعة الجامع الكامل في الحديث الصحيح الشامل للدكتور ضياء الرحمن الأعظمي

بقلم : الدكتور الحافظ كليم الله العمري المدني *

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعد :

فهذا كتاب قيم وعظيم من رجل عظيم صدر كمراجع ومصادر لأهل العلم ، وموسوعة حديثية لطلاب الحديث وذويه في قرننا ، وهذا المصنف والمؤلف من أبدع المصنفات في الحديث الشريف في القرن العشرين الميلادي حسب ما علمت وبحثت ، ومن أجمل ما كتب وصنف في الأحاديث الشريفة ، وصاحبنا محمد ضياء الرحمن الأعظمي (تغمد الله الفقيد برحمته) أراد الله به نشر ما كان تعبيراً عما رآه في أيام دراسته بجامعة دار السلام بعمرآباد في جنوب الهند وما كان مخمولاً في الذكر وفتح باب جديد لخدمة الحديث النبوي الشريف ، سبق المؤلف إلى ما لم يسبق إليه أحد من ذوي العلم والفضل في القرون المتأخرة ، تقبل الله منا ومنه صالح الأعمال وجعله في ميزان حسناته ، لمثل هذا فليعمل العاملون .

كان الناس يسألونه في الحَل والترحال دوماً ، أين المصدر الثاني بعد كتاب الله محفوظاً ومطبوعاً وصحيحاً وجامعاً من جل المصنفات والمسانيد والجوامع والصحاح والسنن والمعاجم والمستخرجات والمستدركات ؟ وكيف نستفيد من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم جميعها ؟

وهكذا مرت عليه أسئلة من أهل العلم وطلابه ، ففكر ودبر واعتكف لمدة خمس عشر سنة ، وبذل قصارى جهوده المتوالية في نيل

* عضو هيئة التدريس بجامعة دار السلام ، عمرآباد – الهند .

المرام وفاز فوزاً عظيماً بإذن الله تعالى .

جمع صاحبنا في كتابه أكثر من ستة عشر ألف حديث صحيح أو حسن مخرج وضبط بعد كل حديث صحته أو حسنه ، ثم رتب الأحاديث ترتيباً فقهياً ، وجمع فيه أحاديث العقائد والعبادات والمعاملات والمغازي والسير والفضائل والمناقب والآداب والتفسير والزهد والرقاق والأدعية والأذكار والرقى الشرعية والطب وتأويل الرؤيا واللباس والفتن وأمارات الساعة والجنة والنار حسب ما يحتاج إليه المسلم للتزود للآخرة .

ثم رتب المؤلف في جامعه الكامل ٦٧ كتاباً و ٦٠٠٠ باباً و ١٦٠٠٠ حديثاً صحيحاً أو حسناً ، وذكر المؤلف في نهاية كل باب أحاديث ضعيفة مشهورة عند الناس ، وهذه الأحاديث الضعيفة ٣٠٠٠ تقريباً ، وهذه ليست من أصل الكتاب ، لذلك لم يرقم لتلك الأحاديث الضعيفة المذيلة عند نهاية كل باب ، بل ذكر المؤلف تنبيهاً وتحذيراً لطلبة العلم ، وهذا الكتاب طبع في عام ١٤٣٧هـ في اثني عشر مجلداً ، ولقي قبولاً عاماً عند العلماء وطلبة العلم في حياة المؤلف رحمه الله .

لما صدر هذا الكتاب في السعودية في اثني عشر مجلداً وفي باكستان في تسعة عشر مجلداً انبسط العلماء الأفاضل والباحثون وطلبة العلم الشرعي من الشرق والغرب ، كل كان حريصاً على استقبال الكتاب وقبوله ، وكما نظن بعد شهرة هذا الكتاب وطبعه ينتهي الخلاف في كثير من المسائل الشرعية بإذن الله تعالى .

وهذا الكتاب كما يعرف المؤلف نفسه في كتابه القيم (الأدب العالي) : " والجامع الكامل شامل مما يحتاج إليه المسلم في حياته لمعرفة أمور دينه ودنياه لإصلاح نفسه ، وإصلاح المجتمع الذي يعيش فيه ، وكل موضوع في الجامع الكامل يستحق أن يفرد له في جزء " .

وقد استغرق تأليفه عدة سنوات وعمل خلالها ليلاً ونهاراً تاركاً رحلاته والندوات والمؤتمرات ليكون جامعه جامعاً لكل خير ، ومناراً للهدى واتباع السنة المطهرة ، والحق أحق أن يقال كما قال الإمام الترمذي عن

سننه : " فمن كان في بيته هذا الكتاب فكأنما في بيته نبي يتكلم " .

وكان المؤلف قد لخص الكتاب في خمسة مجلدات لغير الناطقين باللغة العربية ، وهذا الملخص يترجم في الإنجليزية والأردية لتمام الفائدة لجميع الناس ويطبع قريباً بإذن الله تعالى .

احترق الشيخ – رحمه الله – في أول حياته فأشرق في آخرها ، فصاحبنا وُلد وبقي على فطرة الله التي خلقها وهو ممن أسلم وحسن إسلامه وثبت وهاجر في الله وجاهد فيه حق جهاده وضحّى بتضحيات كثيرة في سبيل الدين الحنيف وترك أشياء كثيرةً وأموراً عديدةً لله ، فعوّض الله له وهداه إلى صراط مستقيم وجعله قدوةً لطلبة العلوم الشرعية والمهاجرين في سبيل هذا الدين القيم ، وجعل مسكنه في حياته وبعد مماته في خير أرض من الدنيا وأحبها إلى الله تعالى ورسوله وعند جميع الناس كلهم ، وهي مصدر الإيمان ومنتهاه كما قال النبي عليه السلام : " إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها " (أخرجه ابن ماجه وصحّحه الألباني) ، واستحق شيخنا بفضل من الله أن تحصل له شفاعة نبينا يوم القيامة بإذن الله صلوات ربي وسلامه عليه ، " من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليفعل . فإني أشهد لمن مات بها " (أخرجه ابن ماجه وصحّحه الألباني) .

وقد صدق بعض العلماء : " من لم تكن له بداية محرقة لم تكن له نهاية مشرقة " ، وطلب العلم لا يأتى براحة الأجساد ، بل لابد فيه من سهر الليالي وإتعاب الجسد ، ومن ظن أن العلم يأتي في يوم وليلة أو في سنة أو في عشر سنوات ، أو ظن أنه بقراءته لكتاب أو كتابين أنه سيصبح شيخاً للإسلام والمسلمين فهو مخطئ في ظنه هذا .

فالله أسأل أن يتقبل حسناته ويتجاوز عن سيئاته ويجعل الجنة مثواه وينفع بعلومه النافعة الأمة الإسلامية ، ويجعله ذخراً للأخرة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . وصلى الله على نبينا محمد وبارك وسلم ، والحمد لله رب العلمين .

(١) الأستاذ ملك محمد أحمد الندوي ينال شهادة الدكتوراه

حول : أعلام الكتاب والناثرين من العرب والعجم في مجلة البعث الإسلامي : دراسة تحليلية

مدير التحرير

نال الأخ الأستاذ ملك محمد أحمد الندوي (موظف في القسم الإنجليزي بمكتبة العلامة شبلي النعماني بندوة العلماء ، لكناؤ) شهادة الدكتوراه حول عنوان : أعلام الكتاب والناثرين من العرب والعجم في مجلة البعث الإسلامي من عام ٢٠٠٠م إلى ٢٠٢٠م : دراسة تحليلية ، وذلك من كلية اللغة العربية وآدابها بجامعة خواجه معين الدين الجشتي للغات لكناؤ (الهند) ، قام الأستاذ ملك محمد أحمد بإعداد هذه الأطروحة لنيل شهادة الدكتوراه تحت إشراف البروفيسور مسعود عالم (رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة نفسها) ، وقد ناقش الموضوع وفد من الأساتذة والدكاترة ، على رأسهم الأستاذ الدكتور فيضان أحمد من جامعة علي جراه الإسلامية ، فأثنى على المجهود العلمي ، ودعا للباحث بالخير والبركة .

هذه الأطروحة التي أعدها الأخ محمد أحمد الندوي يغطي خمس مائة وثلاثين صفحة من القطع الكبير ، ويحتوي على أربعة أبواب :

الباب الأول : الصحافة العربية في الهند ، الباب الثاني : مجلة البعث الإسلامي وتاريخها ، الباب الثالث : أعلام المساهمين البازرين والأعلام المترجم لهم من الهند والعرب في مجلة البعث الإسلامي ، الباب الرابع : أعلام الهند ، والعرب المترجم لهم تحت عنوان " إلى رحمة الله تعالى " في مجلة البعث الإسلامي ، وكل فصل يشتمل على ثلاثة أو أربعة فصول .

وقد كتب الباحث في بداية البحث مقدمةً ضافيةً ، تناول فيها عدة نقاط : كيف تطورت الصحافة في الهند ، وما هي مساهمة مجلة البعث الإسلامي في الصحافة العربية ، وما هي أهمية الموضوع وأسباب اختياره ، ثم ذكر الدراسات السابقة حول الموضوع ، وقال : هناك ثلاثة أعمال على حد علمي حول : مجلة البعث الإسلامي ، الأول ؛ كشاف مجلة البعث الإسلامي منذ عام ١٩٥٥م إلى ٢٠٠٨م ، وهو فهرس مطول ، يتناول جميع عناوين المقالات والدراسات والأنباء والأخبار ، وتراجم الأعلام التي نُشرت في هذه الفترة ، وهو جهد الأستاذ محمد أزهر حسين الندوي نزيل مسقط ، سلطنة عمان ، وطُبع من إحدى مطابع لكناؤ ، والعمل الثاني حول المجلة : كتاب الوفيات المطبوعة في مجلة البعث الإسلامي ، وذلك في مجلدين ، قام بإعداده الأستاذ أبو ذر متين من جامعة علي جراه ، وطُبع من القسم العربي لجامعة علي جراه ، والعمل الثالث : هو رسالة الماجستير للأخ مدثر أحمد باسم :

مساهمة مجلة البعث الإسلامي في تطور اللغة العربية والصحافة العربية في الهند ، عام ٢٠١٢م ، وهناك إنجازان مهمان حول رؤساء تحرير المجلة لم يذكرهما الباحث ، أحدهما : الأستاذ السيد محمد الحسني كاتباً وأديباً ، للأستاذ أيوب تاج الدين الندوي من الجامعة الملية الإسلامية ، وثانيهما : مساهمة الدكتور سعيد الأعظمي الندوي في تطوير اللغة العربية والأدب العربي لكاتب هذه الكلمة مدير تحرير المجلة ، وهو أطروحة الدكتوراه التي أعدها الباحث لنيل الشهادة من جامعة لكناؤ .

والأخ محمد أحمد الندوي من مواليد ١٩٧٩م في مدينة لكناؤ ،تخرج في دار العلوم لندوة العلماء عام ١٩٩٧م ،ثم واصل دراسته في الكليات العصرية ،ونال شهادة البكالوريس والماجستير منها ،والآن ينال شهادة الدكتوراه على هذا الإنجاز العلمي ، فأسرة المجلة تهنئ الأخ ملك محمد أحمد الندوي على اختيار هذا العنوان لرسالة الدكتوراه، وتتمنى له مستقبلاً زاهراً ،كما تقدم تبريكاً وتهنئةً إلى القسم العربي للجامعة ،ورئيسه الأستاذ مسعود عالم على موافقة هذا الموضوع للدكتوراه ، والله ولي التوفيق .

(٢) حفل توقيع كتاب : " شخصيات أعجبتني " لمؤلفه الأستاذ محمد نعمان الدين الندوي

بقلم : الأخ محمد سعدان الدين الندوي *

تفضل يوم الأربعاء : ٢٩ صفر ١٤٤٦هـ ، المصادف ٣/ سبتمبر ٢٠٢٤م رئيس ندوة العلماء الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي بتوقيع كتاب : " شخصيات أعجبتني " لمؤلفه مدير معهد الدراسات العلمية بـ " ندوة العلماء لكناؤ بالهند " الأستاذ الأديب والدي الجليل محمد نعمان الدين الندوي حفظه الله .

هذا الكتاب يحتوي على تراجم علمية وأدبية لسبع عشرة شخصية من أعلام العرب والعجم – في بيتي بالحرم الجامعي لندوة العلماء .

وقد حضر المناسبة : فضيلة الشيخ محمد زكريا السنبهلي الندوي عميد كلية الشريعة بدار العلوم لندوة العلماء ، وسعادة الأستاذ جعفر مسعود الحسني الندوي أمين عام ندوة العلماء ، وفضيلة الشيخ محمد خالد الغازيبوري الندوي عميد كلية الدعوة والإعلام بدار العلوم لندوة العلماء ، وفضيلةُ الشيخ نياز أحمد الندوي رئيس قسم الإفتاء بندوة العلماء ، وفضيلة الأستاذ محمد كمال أختر الندوي مستشار أمين عام ندوة العلماء ، وفضيلةُ الأستاذ عرفان الحسني الندوي أستاذ بقسم التدريب على اللغة العربية لندوة العلماء ، وفضيلة الأستاذ سلمان نسيم الندوي أستاذ التفسير والأدب بندوة العلماء ، وفضيلة الأستاذ الدكتور محمد وثيق الندوي مدير

* قسم التدريب العلمي بدار العلوم لندوة العلماء .

تحرير صحيفة : " الرائد " ، وفضيلة الأستاذ الدكتور محمد فرمان الندوي مدير تحرير مجلة البعث الإسلامي ، والأستاذ نعمة الله قاسم الندوي (معهد الدراسات العلمية ، ندوة العلماء) ، والأخ نبيل فائز نبيل الندوي .

والكتاب يغطي ٢٣٨ صفحةً ، ونشره معهد التعليم والتربية ، بالا غنج ، لكناؤ ، الهند ، وقد أشاد الحضور بهذا الجهد العلمي والأدبي الذي فاض بقلم والدي حفظه الله ، وهنأه على هذا الإنجاز ، ودعا لمؤلفه بالخير والبركة .

هذا الكتاب يضم شخصيات ونوابغ من مختلف العصور ، وقد أعجب بها مؤلف الكتاب ، فسجل انطباعاته عنها ، إنه يقول في كلمته :

" أولاً ينبغي أن أوضح بأنني لست أريد كتابة التراجم أو السير لمن أتحدث عنهم من العلماء والأدباء أو الأساتذة أو الزعماء ، وإنما أقصد أن أتعرض لجوانب بارزة من حياتهم من خلال مشاهداتي وتجاربي ولقاءاتي معهم " .

ولا شك أن دراسة الموضوع تنفع الدارسين كثيراً ، لأن السراج بالسراج يستنير ، والشخصية بالشخصية تهتدي وتتكون ، وقد أهاب مؤلف الكتاب بالشباب والطلاب أن يتخذوا لهم قدوةً ومثلاً أعلى يستشيرونه في مطالعاتهم ودراساتهم ، ويسترشدون بآرائهم ويستنيرونه بتجاربهم .

ونذكر في الأخير قائمة الشخصيات ، وهي على ما يأتي :

(١) الشاعر الأسطورة : أبو الطيب المتنبي ، (٢) العلامة أنور شاه الكشميري ، (٣) والدكتور محمد إقبال ، (٤) مصطفى صادق الرافعي ، (٥) مولانا أبو الكلام آزاد ، (٦) والشيخ علي الطنطاوي ، (٧) الشيخ عبد العزيز بن باز ، (٨) الشيخ أبو العرفان الجونفوري الندوي ، (٩) العلامة محمد سالم القاسمي ، (١٠) سفير القرآن عبد الباسط عبد الصمد ، (١١) فقيد الأمة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ، (١٢) الشيخ حبيب الرحمن السلطانفوري ، (١٣) عندليب الهند العربي محمد واضح رشيد الحسني الندوي ، (١٤) الشيخ ضياء الحسن الندوي ، (١٥) الأستاذ محمد الحسني ، (١٦) الشيخ محمد يونس الجونفوري ، (١٧) الشيخ نور عالم خليل الأميني .

(٣) مساهمة المرأة الهندية في الدراسات العربية

د . غياث الإسلام الصديقي الندوي *

استضاف قسم اللغة العربية بجامعة دلهي بالتعاون مع مجمع الفقه الإسلامي (الهند) ندوةً وطنيةً حول موضوع " مساهمة المرأة الهندية في الدراسات العربية " ،

* محاضر ضيف للغة العربية بالكلية الطبية الآيورفيدية واليونانية التابعة لجامعة دلهي .

استغرقت يومين ٢١ – ٢٢ أغسطس ، ٢٠٢٤م ، أدارها البروفيسور السيد حسنين أختر رئيس القسم المستضيف ، ونسّقها البروفيسور نعيم الحسن رئيس القسم سابقاً . وفي جلستها الافتتاحية تقدم بكلمة الترحيب رئيس القسم المستضيف ، ورحب ترحيباً حاراً بجميع الحضور من الأساتذة والباحثين من مختلف الجامعات والمؤسسات التعليمية ، وأوضح أن مجمع الفقه الإسلامي الهندي اقترح موضوعاً مهماً لهذه الندوة ، وهو " مساهمة المرأة الهندية في الدراسات العربية " ويمكن به إبراز دور تاريخي ومعاصر للمرأة الهندية في مجال العلم والأدب .

وقدم الشيخ عتيق أحمد البستوي ، أستاذ الحديث والفقه بدارالعلوم لندوة العلماء ، لكناؤ ، وسكرتير مجمع الفقه الإسلامي ، كلمةً افتتاحيةً ، وألقى ضوءاً على علاقة الهند باللغة العربية قديماً وحديثاً ، ونشاطات علميةً لجامعة دلهي ، وخدمات اجتماعيةً وثقافيةً لمجمع الفقه الإسلامي ، كما أكد على أهمية موضوع الندوة وقال : " قدمت الهنديات خدمات مميزةً في اللغة العربية وآدابها ، ونرجو أن ندوة اليوم ستفتح آفاقًا جديدةً لهن في العلم والأدب " . وألقت البروفيسورة تسنيم كوثر قريشي ، أستاذة قسم اللغة العربية ، جامعة علي كره الإسلامية ، خطاباً رئيسياً ، وتناولت بإسهاب خدمات نساء الإمبراطورية المغولية في العلوم العربية والإسلامية ، وأكدت على دور ملحوظ للنساء الهنديات في مجال الأدب العربي وتأسيس المؤسسات الدينية .

في كلمة الرئاسة تناولت البروفيسورة عائشة كمال ، عميدة كلية الآداب ورئيسة قسم اللغة العربية بجامعة بركة الله بوفال ، اهتمام أميرات بوفال بتطوير الدراسات العربية ، وأشادت بمشروعاتهنّ التي استهدفت تعليم الفتيات ، وجهودهنّ في نشر العلوم الإسلامية والفنون الأدبية . وبهذه المناسبة حضرت من جامعة دلهي البروفيسورة بائل ماغو (مديرة مدرسة التعليم المفتوح) ، والبروفيسورة نيرا أغني مترا (رئيسة لجنة العلاقات الدولية) ، والدكتور أميتاب جكربورتي (عميد كلية الآداب) وهم كانوا ضيوف الشرف ، والبروفيسور بلرام باني (عميد لشؤون الكليات) كان الضيف الرئيس . وتحدث كل منهم حول الموضوع ، وأفادوا الحضور بتوجيهات قيمة تبدي مكانة المرأة في المجتمع وتأثيرها في مجالات الحياة المختلفة . وجرت نشاطات الجلسة الافتتاحية بإدارة الدكتور محمد أكرم ، أستاذ القسم المستضيف . وانتهت بكلمة شكر ألقاها المفتي أحمد نادر القاسمي .

وقد عُقدت للندوة أربع جلسات ، قدم فيها الدكاترة والأساتذة من الجامعات العصرية الهندية بحوثهم ودراساتهم ، وكل ذلك برئاسة البروفيسور نعمان خان الندوي والشيخ عتيق أحمد البستوي والأستاذ عبد الماجد قاضي الندوي ، والبروفيسور رضوان الرحمن ، وكذلك جرت جلستان افتراضياً ، أولاهما برئاسة البروفيسور زبير أحمد

الفاروقي ، رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة المليـة الإسلامية سابقاً ، وأدارها د . صهيب عالم (أستاذ القسم نفسه) ، وثانيتهما برئاسة البروفيسور مشير الحسن الصديقي ، رئيس قسم اللغة العربية بجامعة لكنؤ سابقاً ، وأدارتها د . هيفاء الشاكري (الجامعة المليـة الإسلامية) ، وقدمت فيهما عدة مقالات .

في الجلسة الختامية تقدم الدكتور محمد بن عبد الله الصواط ، أستاذ قسم الفقه ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، بكلمته ، ونوه بموضوع الندوة ، وأعرب عن خواطره تجاه مؤلفات علماء الهند التي نقلت أو كتبت باللغة العربية كثيرة ، وخص بالذكر كتاب " حجة الله البالغة " للإمام ولي الله الدهلوي ، وكذلك قال : " هدية الهند إلى اللغة العربية وأهلها ، ألا وهو الإمام أبو الحسن الندوي وجهوده لخدمة اللغة العربية جهود كبيرة ، لا تنكر بل تشكر . . ولو لم يكن له من جهوده إلا تأسيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية لكفى ذلك فخراً وشرفاً " .

وأشاد البروفيسور محسن العثماني الندوي ، رئيس قسم اللغة العربية بجامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية بحيدر آباد سابقاً ، في كلمة الرئاسة بموضوع الندوة ، وألقى ضوءاً على وضع المرأة في الهند والعرب عند بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أنها كانت تدفن في طفولتها في بعض قبائل العرب ، وتُحرق حية مع جثة زوجها بعد موته في الهند ، وكذلك كانت المرأة مصابةً بالذلة والحرمان في جميع المجتمعات والشعوب ، فردّ الإسلام إلى المرأة حقوقها وشرفها ، وتأثرت بذلك الديات الأخرى السائدة في العالم البشري ، فاعترفت بحريتها وكرامتها . وتؤدي المرأة اليوم مسؤوليات متنوعةً في أرجاء المعمورة ، فمنهن مصنفات وشاعرات ، ومعلمات وهلمّ جرّاً ، وقد سبقن الرجال في بعض المجالات ، وكلّ ذلك في الحقيقة من فضل الإسلام على المرأة .

وصلت الندوة إلى نهاية المطاف بعدما أدلى الدكتور مجيب أختر ، أستاذ القسم المستضيف بكلمة الشكر والامتنان لجميع الأساتذة والباحثين الحضور في هذه الندوة والقائمين عليها . وقبل ذلك قدم الدكتور أصغر محمود ، أستاذ القسم المستضيف تقريراً شاملاً لفعاليات الندوة . وقُدمت فيها حوالي ثمان وثلاثين مقالة علمية وأدبية قيمة باللغات العربية والأردية والإنكليزية ، وتمت الندوة في ست جلسات أكاديمية حضورياً وافتراضياً بالإضافة إلى الجلستين الافتتاحية والنهائية . وقد شارك فيها نخبة من الأساتذة والباحثين افتراضياً عبر منصة " جوجل ميت " ، كما حضرها كثير من كبار الشخصيات العلمية والثقافية وأساتذة اللغة العربية ، والأكاديميين والباحثين والباحثات من مختلف الجامعات والمؤسسات المتواجدة في مختلف أرجاء الهند وخارجها .

(١) إسهامات السيد محمد الرابع الحسني الندوي في مجال الدراسات العربية بالهند

مدير التحرير

هذه مجموعة دراسات وبحوث علمية ، قُدمت في المؤتمر الوطني السابع الذي عقده قسم اللغة العربية ، جامعة كيرالا ، ترفاندرم ، كيرالا ، الهند في ٢٠٢٣/١٢/١٩م – ٢٠٢٣/١٢/٢٠م ، وهي تغطي أربع مائة وخمسين صفحة من القطع المتوسط ، وقد أعدها الأستاذان الفاضلان : الدكتور نوشاد النوري والدكتور تاج الدين المناني ، والمجموعة تضم أربعاً وثلاثين مقالة علمية ، ودراسة قيمة حول إنجازات العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله تعالى ، يتحدث الدكتور نوشاد النوري رئيس التحرير لهذا العدد في افتتاحيته :

" يسر قسم اللغة العربية التابع لجامعة كيرالا أن يقدم للجالية الأكاديمية كتاباً خاصاً يتناول مختلف الجوانب لشخصية بارزة ، أشرقت هذه الأرض بكتاباتها الرائعة وقيادتها الجليلة ، إنه السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، العلامة الداعية العملاق ، الذي طرق أبواب العلم المتنوعة ، وبدأ يرشد العلم على أساسه ، وهو من أسرة علمية عريقة في العلم والنسب ، وخاله الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي " .

هناك بعض عناوين لهذا العدد : (١) سماحة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ودوره في نشر اللغة العربية وآدابها في الهند للأستاذ السيد جعفر مسعود الحسني الندوي (٢) إسهامات محمد الرابع الحسني الندوي في الأدب الإسلامي بتركيز خاص على كتابه : أضواء على الأدب الإسلامي للباحثة رانيه بي تي (٣) مساهمات محمد الرابع الحسني الندوي في الدراسات القرآنية للباحث محمد فائز الجلالي (٤) نظرات أدبية للعلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي للدكتور عز الدين الندوي (٥) محاولات الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي في نشر فكرة رسالة الإنسانية للدكتور تاج الدين المناني (٦) دور الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ومساهمته في الدراسات الدينية للدكتور مسعود عالم الفلاحي .

فإنني إذ أقوم بالتعليق على هذا العدد الممتاز نبارك مسئولي قسم اللغة العربية بجامعة كيرالا ، على تقديم هذه المجموعة القيمة إلى أهل العلم ، ونسأل الله تعالى لهم التوفيق والسداد .

(٢) مقدمة في الأدب العربي للأستاذ السيد محمد نجم الثاقب الناصري الندوي

هذا الكتاب ألفه الأخ الأستاذ السيد محمد نجم الثاقب الناصري الندوي ، وهو الآن أستاذ الأدب العربي في دار العلوم الإيمان كنشاسا ،

جمهورية الكونغو الديمقراطية (إفريقيا) ، قدم لهذا الكتاب سعادة الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي ، وهو يقول في كلمته : " والجدير بالذكر أن المؤلف الكريم يواصل أعماله التدريسية في دار العلوم الإيمان بمدينة كنشاسا ، عاصمة الكونغو الديمقراطية ، وهي دولة في وسط إفريقيا ، وهو يدرس مادة الأدب العربي منذ سنوات ، فأعد هذه المواد والمعلومات بجهد ودراية ، بعد ما راجع المكتبة الأدبية ، فإنني إذ أبارك المؤلف الكريم على تقديم هذه الهدية القيمة إلى الأوساط العلمية ، أدعو الله له بالخير والسداد في العلم والعمل " ، وهناك كلمات تقريظ للدكتور أحمد زكريا عبد اللطيف الأزهري البنهاوي المصري أستاذ الأزهر الشريف بمصر ، وكلمة الدكتور طارق أنور الندوي والأستاذ المفتي محمد ساجد القاسمي ، كما كان إهداء الكتاب إلى الأستاذ الفاضل حفظ الرحمن الندوي أستاذ دارالعلوم لندوة العلماء سابقاً ، ويغطي الكتاب ثماني وثمانين صفحة .

ويشتمل الكتاب على أربعة أبواب : الباب الأول : الأدب والأديب وفائدة الأدب العربي ، والباب الثاني : أعلام الأدب وأعمالهم الأدبية في القديم والحديث ، والباب الثالث : عصور الأدب العربي وأطواره ، والباب الرابع : أقسام الأدب العربي ، ومما يتميز الكتاب عن الكتب الأخرى بأن كل مادة ذكرت بالإحالة إلى مراجعها ومصادرها ، كما ذكر المؤلف في الحواشي تراجم الأعلام باختصار ، وإذا كان هناك غموض وخفاء في كلمة ، كشفه كشفاً واضحاً ، فالكتاب بإيجازه يستوفي حاجيات الدارسين المبتدئين ، ويروي غلتهم .

(٣) الشيخ أبو سلمة شفيع أحمد للأستاذ المفتي رشيد أحمد الفريدي

(٤) مقالات الشيخ أبي سلمة للأستاذ الدكتور محمد كفيل أحمد الندوي

هذان الكتابان يتحدثان عن حياة وآثار الشيخ أبي سلمة شفيع أحمد الذي كان عالماً جليلاً ، ومفسراً نابغاً ، ومحدثاً مدققاً ، وخطيباً بارعاً ، وأستاذاً ضليعاً في كلكته ، الهند ، ومع ذلك كله كانت له مساهمات في السياسة والاجتماع ، فكان يتألم من مشاكل المسلمين ، ويبكي دماً على ما يُلم بالمسلمين من حوادث وكوارث ، رزقه الله لساناً ذاكراً ، وقلباً شاكراً ، وبدناً على البلاء صابراً ، فلا يبتغي من أعماله جزاءً ولا شكوراً في الدنيا ، بل يعمل كل ذلك لابتغاء مرضاته ، فكانت شخصيته متعددة الجوانب ، ومترامية الأطراف ، قلما توجد أمثال هذه الشخصيات على وجه الأرض .

كانت الحاجة إلى أن تكشف جوانب هذه الشخصية ، وتبرز

زوايا خباياها ، فقيض الله تعالى لهذا العمل الأستاذ المفتي رشيد أحمد الفريدي (أستاذ مدرسة مفتاح العلوم ، بسورت ، غجرات) ، فإنه ألف هذا الكتاب القيم ، ووزعه في بابين ، وكل باب يحتوي على عدة فصول ، وقد اعترف بفضل هذه الشخصية كبار علماء العالم الإسلامي ، منهم الشيخ عبد الفتاح أبو غدة والشيخ حبيب الرحمن الأعظمي والإمام الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي وغيرهم ، وقد استوعب المؤلف الكريم جوانب سيرة هذه الشخصية من صفاته ومزاياه ، وخدماته الدينية والعلمية ، وإنشاء دار الترجمة والتأليف ، ونشر الكتب والمؤلفات منها ، مثل التعليق على أسماء الصحابة والرواة ، وقد صدرت من قلمه مقالات وبحوث نشرته مجلة البرهان المحتجبة بدهلي ، ومجلة معارف الصادرة من دار المصنفين أعظم جراه ، فالقراء الكرام يطلعون من دراسة هذا الكتاب على نواح بارزة للشيخ أبي سلمة شفيع رحمه الله .

فالمؤلف الكريم يستحق من أسرة المجلة كل تبريك وتهنئة ، وقد نشرته مؤسسة الترجمة والتأليف بكلكته ، وهو يغطي مائة وستين صفحة.

والكتاب الثاني هو مقالات الشيخ أبي سلمة شفيع أحمد ، وهو يشتمل على سبعة بحوث علمية ، نشرته المجلات الشهيرة ، وهي على ما يأتي : (١) مؤلفات علوم الحديث في الهند (٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل (٣) كتاب الأم للإمام الشافعي (٤) الإمام دار قطني (٥ – ٦) مكتبة دياوان ومكتبة شكراوان (٧) المرأة والإسلام ، فإن الشيخ أبا سلمة أبدع في هذه المقالاتٍ والدراسات ، وأتى فيها بتحقيقات نادرة ، فهذه المقالات كانت مبعثرة في مجلات ورسائل ، ولم تكن في متناول أيدي عامة العلماء والدارسين ، فأخرجها من مظانها الأستاذ محمد كفيل أحمد الندوي (من مدينة بهار شريف ، ولاية بهار) ، ودرسها دراسة واعية ، وجمعها في صورة كتاب ، ثم قدم لها كلمة جامعة حول التعريف بها ، ليطلع القراء على أهمية وضرورة هذه المقالات .

قام بنشر هذه المقالات نجل المؤلف الأستاذ أبو طلحة بن أبي سلمة شفيع الندوي ، من مؤسسة الترجمة والتأليف بكلكته ، ونحن إذ نهنئ الناشر والمدوِّن لهذه المقالات ندعو الله أن يغدق على الفقيد الرحمات ، وأن يرفع له الدرجات ، ويكرمه بجنات النعيم على ما أنجزه من جلائل الأعمال .

(٥) نصوص من رحلة الشيخ عبد الرشيد إبراهيم للأستاذ سالم محمد القحطاني

الشيخ عبد الرشيد إبراهيم داعية إسلامي ، وقف حياته للدعوة إلى الله تعالى ، ينتمى إلى تركستان ، فهو سايبري الأصل ، ولد في ٢٣/ أبريل

١٨٤٧م وخرج من وطنه طلباً للعلم ، حيث قضى عشرين سنةً يستفيد من أجواء المدينة المنورة ، ثم رجع إلى وطنه واشتغل بالدعوة إلى الله ، وقد سافر إلى دول مختلفة للشرق الأوسط وآسيا الجنوبية وأوربا ، واستغرق ذلك ثلاثة أعوام ، ثم رجع إلى وطنه ، وزج به في السجن نظراً إلى نقده اللاذع على اعتداءات فرقة آرثوذكس المسيحية ، وبعد سنوات أطلق سراحه ، وقد خاض في حرب ليبيا ضد إيطاليا عام ١٩١١م ، وفي عام ١٩١٧م انتقل إلى تركيا ، وأقام في قونيه ثم وفقه الله إلى أن يهاجر إلى اليابان ، ويشتغل بالدعوة إلى الله فيها ، فقام ببناء الجامع في توكيو ، وكان إماماً وخطيباً في هذا الجامع منذ عام ١٩٣٨م إلى آخر حياته ، حيث لفظ أنفاسه الأخيرة ناشراً رسالة الإسلام ، ومدافعاً عن حقوق المسلمين ، خلف وراءه أكثر من عشرة كتب ومؤلفات ، وألف بعض الباحثين حول أعماله وآثاره رسالات جامعية ، منها رسالة طبعت عام ١٩١٠م في تركيا باسم العالم الإسلامي وانتشار الإسلام في اليابان ، ثم ترجمها إلى العربية الدكتور صالح السامرائي ، وطبعت هذه الترجمة باسم العالم الإسلامي في رحلات الشيخ عبد الرشيد إبراهيم في مجلدين في ألف صفحة .

أما هذا الكتاب " نصوص من رحلة الشيخ عبد الرشيد إبراهيم " فقد اطلع عليه الأستاذ الفاضل سالم محمد القحطاني (إمام وخطيب بجامع عبد الله بن الزبير ، بالدوحة ، قطر) فدرسه دراسة تدبر وإمعان ، وجمع من هذا الكتاب مواد كثيرة لسيرة الشيخ عبد الرشيد إبراهيم ، ثم اقتبس منه ما له علاقة بموضوعات متنوعة : دينية ، وسياسية ، واجتماعية ، وتاريخية ، وثقافية ، والتقط منه ما يضحك الدارس أحياناً ، وما يبكيه أخرى ، كأنه باقة اجتمعت فيه أنواع وألوان من الأزهار الجميلة ، ويحمد المؤلف لهذا الكتاب الله تعالى على أنه وفق لاقتباس أهم عبارات الكتاب ، كما عنون بعض العبارات والمقتطفات ، وعلق عليها تعليقاً جامعاً حسب الموضوع ليتجلى أمام القارئ الجمال الفني للعبارات والمقتطفات ، ونظراً إلى هذه المواد الغزيرة رأى الأخ العزيز محمد أبو الحسن الندوي من ولاية بنغال (نزيل دولة قطر) أن ينقل هذا الكتاب إلى اللغة الأردية ، فنقل هذا الكتاب إلى الأردية الفصحى ، ونقل روحها وجوهرها ، ليطلع على موضوعات الكتاب الناطقون باللغة الأردية ، وقد اعترف بذلك أدباء الأردية كما يتجلى من تقديمات لهذا الكتاب ، طبع الكتاب من مكتبة إحسان بلكناؤ في مائة وستين صفحة .

ونحن نهنئ المؤلف والمترجم لهذا الكتاب على هذه الهدية الغالية ، وندعو الله تعالى للقبول والتوفيق الخالص ، فإن الله على كل شيئ قدير .

(١) الشيخ الدكتور السيد تقي الدين الفردوسي الندوي إلى رحمة الله تعالى

قلم التحرير

فُوجئت ندوة العلماء ، وخاصةً أسرة مجلة البعث الإسلامي بوفاة العالم الجليل الشيخ الدكتور السيد تقي الدين أحمد الفردوسي الندوي في دهلي ، حيث كان مقيماً عند كريمته العزيزة ، فلبى نداء ربه عن عمر يناهز ٨٢/ عاماً ، وذلك ظهر يوم الخميس ١٤٤٦/٣/١٥هـ ، المصادف ٢٠٢٤/٩/١٩م ، ثم حُمل جثمانه إلى بلدة " منير " على بعد خمسة وعشرين كيلومترا من مدينة بتنه عاصمة ولاية بهار ، وتم دفنه في مقبرة أسرته بعد صلاة الجمعة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

كان الشيخ السيد تقي الدين الفردوسي الندوي من خريجي ندوة العلماء القدامى ، درس في دار العلوم لندوة العلماء في الخمسينيات من القرن العشرين الميلادي ، وأخذ العلم فيها من كبار أساتذتها أمثال الشيخ الإمام السيد أبي الحسن الحسني الندوي والشيخ محمد منظور النعماني والشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، والشيخ عبد الماجد الندوي وغيرهم ، وكان مندوباً لصحيفة الرائد في ندوة العلماء ، وقت صدورها . وتخرج فيها عام ١٩٦١م ، ثم وفقه الله عز وجل لمواصلة دراسته في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، فاستفاد من هذا الجو العلمي الروحاني ، وخاصة من العلامة عبد العزيز بن باز والشيخ المحدث ناصر الدين الألباني رحمهما الله تعالى ، ونال منها شهادة الكلية ، وقد واصل تعليمه في القاهرة ، ثم انخرط في سلك التدريس ، فظل يدرس المواد الأدبية كأستاذ في قبائل العرب في المملكة العربية السعودية نحو ثلاثة عقود ، كما نال شهادة الدكتوراه على موضوع : القضايا المعاصرة في فتاوى علماء مسلمي الشرق الأوسط ، في سبع مائة صفحة .

كان الشيخ الفردوسي الندوي عضواً بارزاً من أعضاء الهيئة التنفيذية لندوة العلماء ، فكان يزورها حيناً لآخر ، ويحضر دوراتها السنوية ، ويشجع العاملين في شتى أقسام ندوة العلماء ، ودار علومها ، وقد زار ندوة العلماء أخيراً في شهر مارس ٢٠٢٤م ، وأقام عدة أيام في رحابها ، وأفاد أساتذتها وموظفيها بعلمه وفضله ، وكان له ذوق خاص للعلم والمطالعة ، فقد ألف عدة كتب حول شتى الموضوعات ، فألف حول سيرة العلامة السيد سليمان الندوي ، كما ألف كتباً أمثال : اللغة العربية من اللغات الحية ، وكيف تَكتب البحث والرسالة الجامعية ، وسجل أحواله الشخصية في كتاب سماه (حياتي) باللغة الأردية في أربع مائة صفحة ، وكان يذكر الشيخ الإمام السيد أبا الحسن علي الحسني الندوي بسماحة الوالد ، وقد كتب حوله وحول الشيخ السيد محمد الرابع

الحسني الندوي مقالات قيمةً نشرت في المجلات الإسلامية .

كان الشيخ السيد تقي الدين الفردوسي الندوي ينتمي إلى أسرة علمية ودينية ، وُلد عام ١٩٤٢م ، وكان والده السيد عناية الله الفردوسي بن السيد فضل حسين المنيري بن السيد أمجد حسين رحمهم الله ، وقد كان أعضاء هذه الأسرة علماء ربانيين ، يربون الناس على خلال من الإيمان والتقوى ، وكان في أسرته العالم الرباني الشيخ شرف الدين يحيى المنيري ، الذي اهتدى منه خلق كثير ، وانتفع به عدد كبير ، وقد كتب له الإمام السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي ترجمة ضافية في سلسلة كتابه : رجال الفكر والدعوة ، فورث الشيخ تقي الدين الفردوسي الندوي هذه الخلال الطيبة ، وكان صورة صادقة لحياة العلم والتقوى ، رزقه الله خلقاً طيباً ، وسلوكاً حسناً ، وكل من لقيه أو زاره هش إليه وبش ، ورحب به ترحيباً حاراً ، فكان الزائرون يتأثرون بسلوكه وتعامله .

تغمده الله بواسع رحمته ، وأغدق عليه شآبيب رضوانه ، وأكرمه بجنات النعيم ، وألهم أهله وذويه الصبر الجميل .

(٢) زوجة الشيخ المحدث محمد زكريا السنبهلي الندوي إلى رحمة الله تعالى

استأثرت رحمة الله تعالى بزوجة الشيخ المحدث محمد زكريا السنبهلي الندوي عميد كلية الشريعة وأصول الدين وأستاذ الحديث النبوي بدار العلوم لندوة العلماء ، لكناؤ (الهند) السيدة أمة الله كوثر بنت الشيخ الكبير المحدث محمد منظور النعماني رحمه الله ، وذلك في ١٤٤٦/٣/٤هـ ، المصادف ٢٠٢٤/٩/٨م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كانت الراحلة الكريمة قد أصيبت بمرض ، فظلت رهينة الفراش منذ ثمانية شهور ، وكانت مقيمةً في بيتها مع زوجها وأولادها بمنطقة كهدرا في مدينة لكناؤ ، بولاية أترابراديش ، ولم يألُ أهلها جهداً في معالجتها ، فأدخلت في المستشفى ، لكن لم يُكتب لها البرء والشفاء ، فجاء أجلها المحتوم ، وانتقلت إلى رحمة الله تعالى ، وقد عاشت الراحلة الكريمة من عمرها ٧٥/ عاماً ، ورزقها الله ولدين صالحين نجيبين ، وهما الأستاذ الفاضل يحيى النعماني الندوي رئيس دار العلوم الصفة ، والأستاذ الباحث أحمد إلياس النعماني الندوي أستاذ مدرسة سيدنا بلال أحد فروع ندوة العلماء ، بلكناؤ ، فإنهما نموذجان لتربية الفقيدة الكريمة رحمها الله رحمةً واسعةً .

تنتمي الراحلة إلى أسرة علمية ودينية في الهند ، وهي أسرة الشيخ المحدث الكبير محمد منظور النعماني الذي خدم الإسلام والأمة الإسلامية من جهات شتى ، وأثرى المكتبة الإسلامية بعلومه وإنتاجاته الدعوية والإصلاحية ، وكان من مدينة سنبهل ، بولاية أترابراديش ، لكنه انتقل إلى مدينة لكناؤ ،

وأقام بها ، وكان من أقرب رفاق الإمام الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء سابقاً ، ومن أهم منجزاته إنشاء مجلة الفرقان الشهيرة عام ١٩٣٤م ، ولا تزال تصدر بكل مواظبة منذ أكثر من تسعين عاماً ، ويرأس تحريرها الآن العالم الرباني والخطيب المصقع الشيخ خليل الرحمن سجاد النعماني الندوي حفظه الله ورعاه ، وكان والده الشيخ النعماني عضواً بارزاً من أعضاء رابطة العالم الإسلامي ، هذا هو الوالد المثالي ، والمربي النابغة الذي تربت في كنفه الراحلة الكريمة ، فتحلت بحلى الإيمان والتقوى ، وقد تعلمت اللغة العربية مع الشريعة الإسلامية ، فترجمت باللغة الأردية مقالاً لكاتب مصري حول سيرة الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه ، ونُشرت هذه الترجمة في مجلة الفرقان قبل ستين عاماً .

وقد قدم رئيس ندوة العلماء الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي تعزيةً إلى أسرة الفقيدة ، وخاصة إلى الشيخ المحدث محمد زكريا السنبهلي الندوي على هذا الحادث ، كما دعا أساتذة وطلاب دار العلوم لندوة العلماء للراحلة بالمغفرة التامة عند الله تعالى ، وشاركوا في صلاة جنازتها التي أقميت في رحاب ندوة العلماء بعد صلاة العصر بإمامة نجلها الكبير الأستاذ الفاضل يحيى النعماني الندوي ، وتم دفنها في مقبرة عيش باغ بلكناؤ ، في جنب والدها العظيم .

رحم الله الراحلة رحمة واسعة ، وغفر لها زلاتها ، وأمطر عليها شآبيب رحمته ، وألهم أسرتها الحافلة بالزوج والأولاد والأحفاد والحفيدات الصبر الجميل ، فإنه على كل شيئ قدير ، وبالإجابة جدير .

(٣) الأستاذ الدكتور مسرور فيضي الندوي في ذمة الله تعالى

تلقينا نبأ وفاة الأخ العزيز الأستاذ الدكتور مسرور فيضي الندوي يوم الخميس ١٤٤٦/٣/١٥هـ ، المصادف ٢٠٢٤/٩//١٩م بالغاً من العمر ٣٥/ عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الأستاذ محمد مسرور فيضي الندوي من مديرية سمستي فور ، بولاية بهار ، الهند ، وكان والده الشيخ سيف الله خالد ، ودرس الأستاذ مسرور في دار العلوم لندوة العلماء ، وكان خلال دراسته طالباً نابغاً بين زملائه ، وقد تخرج في دار العلوم عام ٢٠٠٥م ، كما قد تخصص في قسم الإعلام ، فكان مذيعاً منذ أحد عشر عاماً في إذاعة دي . دي . الهندية ، ونال شهادة الدكتوراه بالجامة الملية الإسلامية بدهلي ، وكان الأخ العزيز مسرور يعيش حياة عادية إذ فاجأه أجله ، فانتقل إلى رحمة الله تعالى .

ونحن إذ نقدم تعزية قلبية إلى أسرته على هذا الموت المفاجئ ندعو الله تعالى أن يغفر له مغفرة تامة ، ويصفح عن زلاته ، ويجزيه جزاءً حسناً على ما قام به من عمل بإخلاص النية ، ربنا تقبل منا ، إنك أنت السميع العليم .

العبقري العصامي !

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده ، وما ينفع عمليًا ، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق ، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية ، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غبارًا لصق به في القرون المظلمة ، وفي عصر الثورة على الدين ، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين ، ومن النتائج الخاطئة ، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره ، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية ، مما توصل إليه أساتذتها الغربيون .

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد ، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم ، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق ، وكقرين تفوّق في بعض العلوم المادية والمعاشية ، فيأخذ منه ما فاته من التجارب ، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تُراث النبوة ، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيرًا ، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيرًا ، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب ، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق ، وقوى الروحانية والمادية - ويضيف إلى المدارس الفكرية ، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع. هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقودًا في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم ، وهذا هو العملاق حقًا الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغارًا متواضعين كالأقزام.

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية

- **في الهند**

أربع مائة (بالبريد العادي)	٤٠٠ / روبية
سبع مائة (بالبريد المسجل)	٧٠٠ / روبية
ثمن النسخة	٤٠ / روبية

- **في العالم العربي ، وفي جميع دول العالم:**

٧٥ /دولارًا بالبريد الجوي ، أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية

- **المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها**

عنوان المراسلات:

ترسل الاشتراكات بالشيك: باسم "البعث الإسلامي"

AL-BAAS, A/C NO. 10863759846
IFSC CODE: SBIN0000125, SWIFT CODE: SBININBB157
STATE BANK OF INDIA, LUCKNOW MAIN BRANCH (INDIA)

مكتب البعث الإسلامي

(مؤسسة الصحافة والنشر) ندوة العلماء ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS SAHAFAT WA NASHRIYAT , NADWATUL ULAMA
P.O. BOX. 93, LUCKNOW - 226007 - U.P. (INDIA)

R.N.I. No. (U.P.) ARA/2000/02341
Postal Regd. No. SSP/ LW-NP/64/2024 To 2026
Published on: 3rd of Every Month
Posted at R.M.S. Charbagh Lucknow-04

Despatch Date: 5,6,7
ISSN 2347-2456
Per Copy. Rs. 40/-
Annual Subs. Rs. 400/-

Monthly

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Vol. No. 70 Issue. No.10 November 2024

إصدارات حديثة

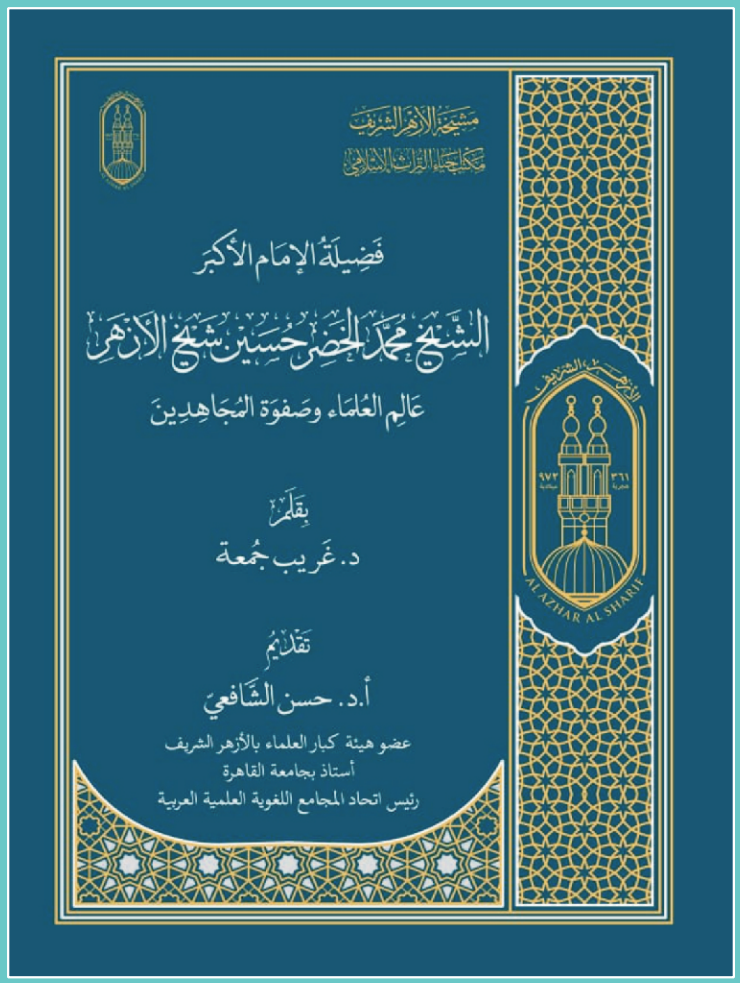

Designed by Hamid, Mob:9889654027,9918687777, E-mail:hrhamid1962@gmail.com

Printed & Published by MOHAMMAD TAHA ATHAR on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
at Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow. U.P.
Editor: SAEED -AL - AZAMI - AL- NADWI